حكايا من خلف النافذة

الحكاية الأولى:

(المقبرة)

نهـالزُّيُوت.عَاوَدَهَـا نَفْس الْإِحْسَـاس مِنْ جَدِيـدٍ إذ اِنْتَفَضَـت فَجْـأَة ويخالجها شُعُور أَنَّهَا رَأَتْ جِسْمٌ مَا يَتَحَرَّكُ خَلْف ظَهْرِهَا.

ذَهَبَت مُسْرِعَةٌ إلَى خِزانة ملابِسَها لتقلب فِيها يميناَ ويسـاراَ لَعَلَّهَـا تَجِد شَـيْئاَ . . لَكِنَّهَـا أَحَسَّـت بِأَنْفَاسـاَ فِي عُرفَتِهَـا وَلَكِنَّهَـا لَمْ تَـرَى شَيئاَ. . شَعَرْت بِهِ كَأَنَّهُ بِجَانِبِهَا تماماَ،، وَتَارَةَ أَمَامَهَا وَيُخَيِّل لَهَا إنّـهُ يَلْعَب بخصـلات شَـعْرِهَا المنسـدلة عَلَى جَبِينَهَـا . . وَكَـان يمـرر أُصَابِعَهُ الَّتِي تُشِعّ حَرَارَة غَيْرِ عادِيَةٍ . . حَرَارَة لَم تألفها مِنْ قَبَـلِ . . رَاحَت تهز رَأسِهَا لَعَلَّ مَا تُشْعِرُ بِهِ مُجَرَّدُ وهماَ.

ذَهَبَت مُسْرِعَةٌ إلَى سَرِيرُهَا وَجَلَسَت عَلَيْـهِ؛بَعْـدَ أَنْ أَضَـاءَت أَنْـوَار الغُرْفَة . . دَلَف إلَى غُرْفَتِهَا فَجْـأَة أَخوهَـا الصَّـغِيرُ دُونَ أَنْ يَطْـرُقَ عَلَيْهَا الْبَابَ . . رُبَّمَا دَخَلَ مِنْ الْبَابِ الموصد؛أَوْ هَكَذَا تَخَيَّلْت هِي . . لَكِنَّهَا سَأَلْتُه بِصَوْتاَ يَشُوبُه الْخَوْف مرتعشاَ.. أَلَم تَـدْخُلُ مِنْ خِلَالِ الْبَاب ؟

وَلَكِنَّه نَظَرَ إلَيْهَـا مطـولاَ وَلَم يُجِيب لَكِنَّهُ قَـالَ هَيَّأ لَقَـد أُعِـدَّت أمَنَّا الْغَدَاء.

وَخَرَج بِنَفْس الطَّرِيقَةِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مُنْذُ قَلِيلٌ

قَامَتْ مِنْ فَوْقِ السَّرِير لتَلْحَقَ بِهِ لِأَنَّهَـا أَحَسَّـت بِـالْجُوع فَجْـأَة . . وَلَكِنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْغُرْفَةِ كَانَ لاَبُـدَّ لَهَـا أَنْ تَقِـفَ وَلَـو قليلاَ أَمَـام الْمَـرْآة لتسـوي خصـيلات شَـعْرِهَا ثُمَّ تَسْـتَدِير وتُعِـدل مِن هِنْدامِها . . تسْمَع صَوْت وَالِـدَتِهَا تُنَـادِي عَلَيْهَـا لِتَخْـرُج لِلطَّعَـام . . وَلَكِنَّهَـا لاتنسـى لِلْمَـرَّة الْأَخِـيرَةِ إنْ تَنْظُـرَ لنفسـها بعيـون مِلْؤُهَـا الْخُيَلَاء..

خَرَجَت إلَيّ حُجْرِة الطَّعَام حَيْث أُعدَّت أُمِّهَا الْغَدَاء..وَلَكِنَّهَـا عِنْـدَمَا رَأَت رَجُلٌ غَرِيبٌ يَجْلِس وَسَط مَائِدَةِ الطَّعَام هَرْوَلَت مُسْرِعَةٌ إلَى حُجْرَتِهَا مَرَّةً أُخْرَى لَتَضَع شَيّ عَلَى جَسَدِهَا الْعَارِي فَهِي كَأي فَتَاة تَجْلِسُ فِي مَنْزِلِهَا عَلَى رَاحَتُهَا..

سَـمِعْت نِـدَاء أُمِّهَـا مَـرَّةً أُخْـرَى فَخَـرَجَت مُسْـرِعَة وَفِي نِيَّتُهَـا أَن تلومهــا عَلَى عَــدَمِ تنبهيهــا أَنَّ رِجْــلَ غَــرِيبٌ يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ وَلَكِنَّهَا تَرَاجَعَت عِنْدَمَا لَمْ تَجِـدْ أَحَـدَاً. . فَخَـافَت أَنْ تَسْـأَلَ عَنْهُ فَلَعَلَّه وَهُمْ مِنْ الْأَوْهَامِ الْجَدِيدَة الَّتِي تَظْهَرُ لَهَا فِي الْمَــرْآةِ أَوْ تُشْعِرُ بِهِ خَلَفُ شحْمَة أُذُنَيْهَا احياناَ

تَرَاجَعَت وَجَلَسَـتْ إِلَى الطَّعَـامِ وَلَكِن طيفـه تَـرَأَّى لَهَـا عِنْـدَ بَـابِ حُجْرَتِهَا كَانَ مُجَرَّدَ ظِلّ فَقَط.. وَلَكِنَّهَا سَمِعْتُ صَوْتَ الْبَاب يوصِــد بِصَوْت عَالِي صم أُذُنَيْهَا هِيَ فَقَطْ . . لِأَنَّهَا نَظَرْت إِلَيّ أَخُوهَا وَأُمّهَا فَوَجَدْتُهُمْا فِي حَالَةَ طَبِيعِيَّةٌ . . لَكِنَّهَا كَانَتْ تَلَـوُّم أَخُوهَـا لِأَنَّهُ دَخَـلَ عَلَيْهَا حُجْرَتِهَا مُنْذ قَلِيلٌ دُونَ أَنْ يَطْرُقَ الْبَاب.لَكِنَّه أكَد لَهَـا إنّـهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِـكَ فَهُـوَ لَمْ يَكُنْ بِـالْمَنْزِلِ . . كَـانَ أَسْـفَلَ الْعِمَـارَة عِنْـدَمَا نَادَتْه أُمِّه لِيَصْعَد لِيَأْكُل مَعَهُم . . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وَالِدَتَه وَرَفَع حاجبــاه متعجباَ.

لَمْ تَنَمْ تِلْــكَ اللَّيْلَــةِ أَوْ هَكَـذَا ظَنَّت بَـاتَت لَيْلَتِهَــا فِي أَلْوَانٌــاَ مِنْ الكوابيس الْمُزْعِجَة . . لَكِنَّهَـا عِنْـدَمَا قَـامَتْ مِنْ نَوْمِهَـا قَـرَّرْتَ أَنَّ تَذْهَبَ إِلَى أَعَـزّ صَـدِيقِه لَهَـا . . كَـانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ صـديقتها لَهَـا بَـاعَ طويل فِي الْمَسَائِلِ السُّفْلِيَّة أَوْ كَانَتْ تَدَّعِي هَذَا.

تَحَدّثَت مَعَهَـا واقـترحت عَلَيْهَـا الـذَّهَابُ إِلَى الشَّـيْخ عليش.. فَهُـو الْوَحِيد الْقَادِرُ عَلَى فَكِّ طلَسْم الْعَمَلُ لِأَنَّهَا كَانَتْ مصْرِهِ أَنَّ إِحْـدَى الْفَتَيَات اللَّاتِي يحسدونها عَلَى جَمَالِهَـا الْفَـاتِن هُـوَ مِنْ فَعْـل هَـذِهِ الْفِعْلَة وَدَس لَهَا الْعَمَل فِي مَكَان مَا.

وداخــل صــومعة الشــيخ عليش الــذي تملؤهــا رائحــة البخــور والمستكة والحبهان وتلك الأجـواء السـحرية وبعـد أن دفعن أجـر المشورة كانت تجلس هي وصديقتها في إنتظار دورهن على أحر من الجمر..

عنــدها وعنــدها فقــط إنتظــر عليش أن يخلــو المكــان كلــه من الجالسـين وأخـذ يعطـل الـوقت حـتى تكـون بمفردهـا ثم جلب مساعدته وأبعدت صديقتها بطريقة ما..وأصبحت الصـومعة خاليـة إلا منها والشيخ عليش الذي قـام بطقوسـه.. كـان الشـيخ عليش وجهه كأي دجـال تعرفونـه من خلال الأفلام ولا ينقص ولا يزيـد إلا إنه بعين واحدة وكان يضع عليها منديل ليخفي بشاعتها أمـا بـاقي

هيئته لا تختلف تماماَعما تعودنـا عليـه.. قـام بطقوسـه السـحرية وأخذ يعدد الطلبات..

أخـرجت تليفونهـا المحمـول لكي تصـور مـا يقولـه حـتى تحفظـه وتفعل ما يقول لأن ذاكرتها ضعيفة، ولكنه نهرهـا بشـدة وبصـوت متغير واجش ليبث في نفسها الرعب.. وقـال لا لا همـا لا يحبـون الموبايلات..من الأفضل أن تكتبي بخط يدك.. هيا أكتـبي طلبـاتهم بسرعة ..هيا..

بحثت في حقيبتها بيد مرتعشة عن ورقـة وقلم فلم تجـد..ولكنهـا وجدت أمامها ورقة صفراء تشبه البردية وبجانبها محبرة.. ويخرج منهم رائحة السنين او بالأحرى رائحة عفن تبدو جليه..

كتبت كل ما يملى عليها من طلبات.. وكـانت تتوقـف عن الكتابـة عنـدما لا تعـرف شـئ عن المطلـوب.. ولكن عليش طمأنهـا أن معظم المطلوبات ستجدها عند مسـاعدته..بـالطبع بعـد أن تـدفع لها المبلغ المطلوب والمبالغ فيه..

أصر عليش على أن تشرب من منقوع قد إخترعه بمعرفته..فمـد يده داخل جلبابه وأخرجه.. لكنها رفضـت أن تشـرب منـه..ولكنـه هددها إن لم تشرب منه كل ليلـة في منتصـف الليـل تمامـاَ فـإن الجن الذي يظهر لها لن يخرج منها طوال حياتها.. فتجـرعت منـه على مضض..فكان مذاقه كالعلقم ولكنها تحملته رغماً عنها حـتى تزول الغمة.

خرجت من عند عليش ورأسها يدور بشدة ولكنهـا لاحظت أن مـا كتبته بيدها تحول إلى خط آخر يشبه خـط عليش.. عنـدها ناولتهـا مساعدته جميع الطلبات إلا الطلب الأخير.. فكان محتماَ عليها أن تأتي به هي بنفسها

فكان الطلب بشع شـديد البشـاعة.. حيث طلب منهـا الـدجال أن تنتظر في ليلة حالكـة السـواد ويكـون القمـر هلال وفي منتصـف الليل.. عليها أن تذهب إلى مقبرة حددها هو.. وتـأتي بجثـة رجـل ميت حديثاَ..وتمـارس عليـه بعض الطقـوس والطلاسـم الـتي قـد كتبها لها..وما ستفعله بالجثة حتى يذهب الجن الذي يتلبسها

وفي غرفتها حيث دخلت.. دون أن يلحظها أحـد.. دخلت واحكمت المزلاج وأخرجت من حقيبتها الأدوات التي ابتاعتهـا من مسـاعدة عليش..ووضـعتها أمامهـا.. ثم سـحبت السـجادة الـتي كـانت في

منتصف الغرفة ووضـعتها على جـانب وأخـرجت من الأدوات قلم الوان ورسمت دائرة بقطر نصف متر.. ثم وضعت السجادة مـرة أخرى حتى لا ينكشف أمرهـا ولأن الطقـوس لا تكتمـل الا بوجـود الجثة... فقد خرجت من حجرتها وذهبت الي الحمام وقرأت هناك بعض الطقوس كان قد كتبها لها الدجال.. وخـرجت مسـرعة بعـد أن شعرت بشئ يهمس إليها بـأن كـل مـا تفعلـه لم يجـدي نفعـاَ معه..فوضعت يدها علي اذنيهـا لتتخلص من هـذا الهـاجس اللعين وخرجت مهرولةً إلي حجرتها حيث هدأ الصوت تماماَ..

لم يتبقى الا ليلة واحدةً على بلـوغ الليلـة الحالكـة الـتي سـتذهب فيها إلى المقـبرة لإسـتخراج الجثـة المتفـق عليهـا..وكـانت كلمـا نظرت الي عقـارب السـاعة وسـمعت صـوت رنينهـا وصـداه في أذنيهـا أيقنت أن الـوقت قـد إقـترب وحـانت لحظـة لقاءهـا مـع جثة..ستخرجها من مكانها وتفعل بها ما أمر به عليش

وها قد حان اليوم.....

على ضوء المصـباح الـذي تحملـه في يـديها..بـزغ لهـا من الظلام فجأة عينان جاحظتان بالقرب من المقبرة..إنتزع قلبها من مكانه وتسـمرت قـدماها.. ولكنهـا رأت على مقربـة من قـدميها فتحـة المقبرة وذلك الرجل ذو العين الجاحظة ما هو إلا حارس المقـابر قد أعد لها المقبرة وفتحها وأشار لها بالدخول فدست لـه النقـود في جيبه.وانصرف مبتعداَ عن المكان وتلاشى في جيب الظلام.

وعلى ضـوء المصـباح الخفيت خطت أولى خطواتهـا المرتعشـة داخـل المقـبرة فـأنكفئت على وجهها بعـد أن تعـثرث في شـيء ملقى على الأرض..فرأت نفسـها وجـه لوجـه أمـام رأس بشـرية ملقاة بعيدة عن باقي الجسد وعينها تنظر إليها بحدة.

مدت يدها بإعجوبـة واسـتطاعت أن تغلـق عين الجثـة ثم تنهـدت وعلى ضوء المصباح وجدت باقي الجثة.ثم أخـرجت الورقـة الـتي كان قد كتبها لها عليش مسبقاَ الذي أصر أن تكون الجثة مكتملـة وغير ناقصة قطعـة واحـدة وليس قطعتـان.. ووجـدت ايضـاَ إبـرة وخيط مما يستخدمه الأطباء في خياطة الجروح وكأن عليش كان يتوقـع أن الجثـة مقطوعـة الـرأس..وعلى ضـوء المصـباح راحت تخيط الرقبة وتلصقها بالجسد وسط رائحة شديدة القذارة ودمـاء

تسيل من الرقبة هنا وهناك..واخيراَ فرغت من تجميع الرقبة مع الجسد ثم راحت في إغماءة لمدة من الزمن.

ولما أفاقت وجدت نفسها في مكان آخر لا يقل قذارة ورائحة عن المقبرة..كانت غرفة في مكان ما تحت الأرض ولكن الإضاءة فيها لا بأس بها.. وجدت مرآة كبيرة ملتصق عليها ورقة بخط الشيخ عليش وبها بعض التعويذات والطلاسم وكيفية التعامل مع الجثة حتى يذوب الجني الذي يتلبسها وتعود إلى حياتها الطبيعية مرة أخرى.

لكنها وجدت جثة الرجل قد تغيرت بجثة صديقتها التي أحضرتها بنفسها إلى وكر الشيخ عليش وعرفتها عليه..ولكن قال لها هاجس إنها لا ترى جيداَ ولابد إنها جثة الرجل وأن ما تراه غير حقيقي..ثم أخرجت الزيوت ودهنت الجثة ورسمت دائرة على الأرض كما رسمتها من قبل في حجرتها وراحت تكتب فيها بعض الطلاسم والرسومات..ثم شرعت في حرق الجثة..ثم أخذت بعض الرماد ووضعته على جسدها وفوق شعرها وبين عينيها.. ثم ذهبت إلى المرآه تتأمل نفسها.

في اللحظة التي إمتدت يدان من داخل المرآة وأخذتها إلى الداخل ثم تحولت المرآة إلى كتلة من الدخان وأختفت تماماَ.

الحكاية الثانية:

العيادة

عندما هممت أن اكتب رسالة.. وكانت ساعة الحاسوب الذي أجلس عليه تشير إلى الواحدة والربع بعد منتصف الليل..كانت الرسالة لصديق لطلب معين.. ولكني كلما كتبت كلمة أجدها تتحول إلى كلمة أخرى..أمحو الجملة وأكتبها من جديد فتتحول إلى نفس الكلمة وهي..ستجدني من خلفك..أكتب الكلمة فتتشابك الحروف مكونة نفس الجملة أو جملة قريبة المعنى منها.. بدلت من مكاني وذهبت إلى الشرفة حيث يوجد هناك كرسي هزاز كنت قد ورثته عن جدي العزيز وهذا الكرسي له حكاية لسنا بصددها الآن.. من أنا ؟ ألم نتعرف منذ قليل؟ لم نتعرف؟! أنا الدكتور محمد المانع دكتور أمراض عصبية ونفسية وعندي عيادة في أطراف البلدة التي أسكن بها وقد ورثتها عن جدي العزيز..ولكني أذكر إننا تعرفنا يا سادة هنا منذ لحظات،

عمومًا ها أنا عرفتكم على نفسي أرجو منكم عدم النسيان مرة أخرى..أين كنا ؟نعم، نعم.. آخر مرة ذهبت إلى الشرفة وجلست على كرسي جدي الهزاز وأغمضت عيني ولكني سمعت صوت الحاسوب برسالته المشهورة والجهاز مضاء مرة أخرى. ألم اغلقه منذ دقائق؟

انتفضت من مكاني من على الكرسي وتركته يصدر أزيزه في حيز الصمت. ودخلت مسرعاَ إلى الحجرة فوجدت الكي بورد يتحرك ويكتب على الحاسوب خاصتي..وكرسي الحاسوب يبعد نصف متر عنه..وضعت يدي في فراغ الكرسي لعل أحدهم يجلس عليه.. ولكني لم أجد أحداَ.. لكني شعرت بسخونه في ذراعي وتنميل بسيط وبعض من الكهرباء الخفيفة..ثم سقطت على الأرض مغشياَ عليّ.

أفقت على صوت كاد أن يحطم باب العيادة.. وجدت أمامي سامي.. مريض عندي يتسم بالهدوء الشديد دمث الخلق.. كثيف الشعر فوق عيناه نظارات طبية..ولكن سامي كان هائج عصبياَ على الرغم من إنه مريض هادئ جداَ، وسبب هياجه قال لي إنه يقف على الباب منذ ثلاث ساعات وأنا لم أفتح له. سألته ولماذا لم تذهب أليس من الجائز أن أكون خارج العيادة برغم أني لم أفتح لك الباب؟ لكنه قال إنه كان متيقنًا إنني بالداخل.. ولما سألته كيف عرفت؟ قال شاهدتك تجلس على الكرسي الهزاز وتتحرك به، ورغم ذلك لم أفتح الباب فظن أنني أضع سماعات في أذني ..وأؤكد لكم يا سادة إنني كنت ملقي على الأرض.. ولكنني اكتشفت شيئ جديد في شخصية سامي ألا وهي الصبر وشيئاَ آخر وهو العصبية لأن هذه الصفتان عكس شخصيته تمامًا..إذاَ أنا دكتور جيد لأنني عالجت سامي من هلاوسه النفسية. وأصبح شخصية لا تتسم بالبرود الشديد..ولكن فجأة وبدون مقدمات دخل علينا الشيخ محروس بسمته الهادئ وصوته الجَهْوَري في نفس الوقت.. وقبل أن اسأله ما الذي أتى بك في ساعة غير ميعاد الكشف.. قال وهو دَهِش ألف سلامة لك يا دكتور لماذا كنت تنام على الأرض منذ خمسة دقائق ؟ نظرت إلى سامي ثم وجهت حديثي إلى الشيخ محروس..لكني يا محروس كنت أجلس فوق الكرسي الهزاز منذ ثلاث ساعات.. قاطعني محروس بشدة وقال لا والله أنت كنت راقدًا على

الأرض وأنا تخيلت إنك تلعب يوجا أو تجرب نوعاَ جديدًا من العلاج...أففت من دهشتي نوعاَ جديدًا ويوجا؟ لكنه قاطعني مرة أخرى وقال لكن الكرسي الهزاز كان يتحرك فعلاَ وكأن أحداَ يجلس عليه..فقلت لهم لا عليكم سأري موضوع اليوجا هذا.. أقصد الكرسي وهيا نبدأ جلستنا الأسبوعية.. فباغتني محروس هل نبدأ قبل أن تأتي نيرة؟ فقلت له ومن تكون نيرة؟ رجع الشيخ محروس إلى الخلف وجلس على كرسيه بسرعة وأعد كرسي بجانبه ورحب بمخلوق بجانبه وعلى ما أظن أنها نيرة جاءت لتجلس معنا في الجلسة النفسية الأسبوعية..فهي جِلسة يتبادل فيها كل المرضى الأحاديث والمشكلات الخاصة والعامة وإن كان الشيخ محروس استدعى من وحي خياله زوجته التي قتلها بالخطأ منذ ثلاث أعوام فلا بأس من ذلك..ولم تمر إلا خمسة دقائق وقد امتلئت الكراسي المرصوصة على شكل مربع ناقص إحدى أضلاعه من المرضى ولمدة ساعة كاملة تبادلنا الأحاديث الكثيرة وكانت الجِلسة مثمرة بعد الجِلسة توجهت إلى الترعة الموجودة أمام العيادة وأسندت ظهري إلى شجرة الصفصاف الذي زرعها جدي منذ زمن بجوار الترعة، كانت الليلة حالكة الظلام ولا تخلو إلا من أصوات الضفادع والصراصير وبعض الحشرات..ولكني وجدت على صفحة الماء حركة غير عادية فوق الماء ثم خرجت نار ومن بعدها كلمة أنظر خلفك..الكلمة مكتوبة بخط ركيك فوق صفحة ماء الترعة. وبدل من أن أنظر خلفي وجدتني أهرول مسرعاَ إلى عيادتي ولأنني أحصي عدد درجات السلم فصعدت الدرج بخفة حتى وصلت إلى حجرتي وأغلقت الباب جيداَ، وأسندت ظهري إليه وأنفاسي تكاد تقطع من خوفي الشديد..ثم أحسست بيد تتلمس كتفي وشممت رائحة نار ملتهبة أو رائحة لحم شواء..وأنا ما زلت مستند بظهري إلى باب الحجرة لا أقوى على الحراك أكاد أدخل في حلق الباب إن استطعت..ولكن وجدت يدًا بيضاء تخلو من الدماء تمامًا تخترق الباب من خلفي وتجذبني مرة أخرى خارج الحجرة وتلقى بي على درجات السلم، فتكورت وتدحرجت إلى الأسفل وأنتهي بي المطاف إلى حائط واصطدمت به لأجدني فوق السرير بحجرتي..فحمدت الله إنه كان حلماَ. لكني لم أقو على تحريك رقبتي وكانت رأسي تؤلمني بشدة، تحسست رأسي لأجد بها دماء حديثة ولكني شممت أيضاً رائحة الشواء..كانت الرائحة تأتي

من اتجاه الشُرفة.. تحاملت على نفسي وقمت من مكاني لأكتشف أن قدمي وظهري بهما التواء أيضاً ولكني نجحت أن أصل إلى الشُرفة بمنتهى الصعوبة ونظرت إلى الترعة وجدت سيدة تقف أمام شجرة الصفصاف وتشوي لحم..حاولت أن أرى وجهها لم أستطع لأنها كانت تعطيني ظهرها، ففضلت أن انزل إليها لأعرف ما قصتها.

اقتربت من السيدة بخطوات رتيبة أقدم قدم وأؤخر الأخرى. ولكن في الحقيقة ما جذبني إليها ليس معرفة من تكون.. لكن كانت رائحة الشواء هي التي تجذبني وكأن يدًا خفية تدفعني وتسير بي إليها دون أية مقاومة مني..قاربت منها كثيرًا ولم تعطيني الفرصة التفتت فجأة بوجهها الشاحب الضارب إلى الأزرق وتجويف عينها فارغ تمامًا من محجريهما وشعرها الأبيض ينسدل على وجهها في منظر ينخلع له قلبك.. ثم أمسكت بكتفي وشعرت أن أظافرها تغوص في عظامي وتكاد تخلع ذراعي.

ولم أفق إلا على يد سامي وهو يمسك بكتفي وأنا ملقي على سريري في عيادتي وهو يحاول أن يهدئ من حالي.. انتفضت من فوق السرير وقلت له ماذا حدث وما الذي أتى بي إلى هنا؟ فقال منذ خمسة دقائق وأنا أحاول أن أخرجك من حالة التشنجات وأنت نائم ولم افلح إلا عندما أمسكتك من كتفيك..لابد إنك كنت في كابوس فظيع.. فقلت له كابوس نعم نعم وما رائحة الشواء هذه؟ قال إنها أتيه من الخارج فهناك سيدة تشوي خروف أمام الترعة.. فقلت له عند شجرة الصفصاف؟ قال نعم وكيف عرفت؟ قلت له لا عليك يا سامي لا عليك. لكن الحمد لله يا سامي لقد شفيت تماماً من المرض الذي كان يعتريك.. فقال سامي في حبور ونبرة سعيدة.. الحمد لله يا دكتور ولكن ما هو المرض بالضبط الذي كان يعتريني؟ قمت من فوق السرير وفي حركة مسرحية كأني ممثل على خشبة المسرح أجوب الحجرة ذهابًا وإيابًا، وشرحت له طبيعة المرض.. فقد كان سامي مريضًا بالفصام الذهني أو شيزوفرينيا.. فهو مرض اضطرابات سلوكية إلى جانب أعراض مرض الذهان الذي يفقد فيه المريض اتصاله بالواقع ويبدو العالم له وكأنه خليط من الأفكار والصور والأصوات المربكة؛ ينتج هذا تغيرًا مفاجئًا ومروعًا في السلوك يسمى "نوبة ذهانية..عندما انتهيت من الشرح المبسط، وقلت لسامي نَبْذَة

عن مرضه..رفع سامي يده وصفق لي بقوة شديدة وحياني من كل قلبه..فقد أعجب بي وبطريقة شرحي للمرض الذي يعتريني أنا.. وقال لي أنا أعالجك منذ حوالي السنة تقريباً يا محمد ولم أتخيل إنك ستفهم حالتك جيداً بهذه الدرجة برافو عليك يا مانع..ولكن فهم حالتك ستعجل حتماً بشفائك شفاءً كاملًا.. في تلك اللحظة دخل من باب الحجرة عم شحاته فراش العيادة وكان يحمل بين يديه لافته قد أتى بها من عند الخطاط.. وطلب من الدكتور سامي مراجعتها واستلامها حتى يعلقها على باب العيادة.. راجع الدكتور سامي اللافتة جيداً وراجع اسمه الذي كان مكتوبًا قبل ذلك بالخطأ.. وقرأ الاسم بصوت واضح..الدكتور سامي شرابي أستاذ الأمراض النفسية والعصبية.. ثم طلب من شحاته تعليقها فوق باب العيادة.. فقد كان الدكتور سامي هو الدكتور المعالج لحالة محمد المانع الذي يظن إنه هو الدكتور النفسي المعالج..ولإن عنده مرض الفصام فقد كان يتخيل كل يوم إنه هو الدكتور المعالج وكان يتخيل إنه يرى امرأة بهيئة جنيه أو بعض الهواجس.. ولكنه حتماً في طريقه إلى العلاج.. فكل من عرف علته ومكمن عذابه، فقد وضع أول قدماً له في طريق العلاج.

الحكاية الثالثة:

دواء الأماني

يقف لساعات وهو على هذه الحالة ينظر إلى إعلان معلق أمامه على الحائط.. كان الحائط باللون الأزرق.. ولا يدري ما الذي جذبه إلى الإعلان أهو اللون الأزرق تحت الإعلان..؟أم طريقة الإعلان نفسها.؟

لن أطيل عليكم كثيراً فالذي دفعه إلى المكوث طيلة هذا الوقت ذلك الإعلان الجديد والغريب من نوعه والذي يحلم به بعض الرجال ويتمنوه من كل قلبهم.

وهو فرصة جديدة لإحياء شيئاً دفين بداخلهم.

كان الإعلان يتكلم عن دواء جديد إذا أخذت منه جرعة قد تحولك داخلياً إلى طفلاً صغيراً..طفلاً في تصرفاتك فقط لكنك ستكون على نفس هيئتك من الخارج..حك المهندس عُمر رأسه من الخلف وراقته الفكرة ووضع إصبعه في فمه حتى قبل أن يأخذ

من الدواء.. قرأ عنوان عيادة الطبيب الذي يعطي هذا الدواء الذي يرجعك إلى الخلف مرة أخرى..حيث لا يوجد تحمل مسؤوليات ولعب حتى الصباح.

دلف الي الشارع الذي فيه عيادة الدكتور ولكنه وجد من بعيد حشد غفير من الناس يصطفون أمام العيادة طالبين هذا الدواء العجيب إلا إنه تعجب لأنه كان متخيلا أنه الوحيد الذي يريد أن يهرب من الواقع ويعود طفلاً من جديد.

توجه صوب الطابور الكبير وسأل على آخر من الصف فبرز رجل يتعدى السبعين من عمره وقال له أنا ..أنا آخر من بالصف يا بُني.. ثم أخرج المسن من جيبه بالون وأخذ ينفخ فيه.ثم ضحك كثيراَ..اختلط عليه الأمر ساعتها..أهي عيادة دكتور نفسي أم هو مجرد دكتور باطني اخترع عقار يجعل منك طفلاً في ثواني.

إلا إنه علم إن الطابور كان للحجز فقط.وليس لمقابلة الدكتور برهان مباشرةَ.. هذا الأمر اكتشفه بعد أن وصل إلى الممرض وأعطى له الممرض رقم ثلاث مائة وخمسة.. فسأل الممرض تقريباَ بعد كم يوم يمكنني أنا اقابل الدكتور برهان..فأجابه الممرض وهو في رعونة.

رعونة قاطع تذاكر في باص مملؤ بالركاب.فقال له كم يوم؟ عليك الإنتظار حوالي الشهر يا أستاذ ..ثم اشاح بيده حتي يبتعد عنه.. ولكنه أمسك بيديه وهي في الهواء.ودس له ورقة نقدية من فئة المائة جنيه..نظر إليها سلامة الممرض من أسفل نظارته الطبية ذات الزجاج السميك وقال له..أسبوعان وتقابل الدكتور..

ولكن المهندس عمر تشجع وسأل سلامة ولما كل ذلك ألا يمكنني أن أخذ جرعة من هذا الدواء دون الرجوع إلى الدكتور وانتظار كل هذه الأيام؟

فقال له سلامة..ذلك حقيقي ولكن كن مستعد إنك لو أخذت جرام واحد بدون أن يكشف عليك الدكتور ويحدد لك عدد الغرامات الخاصة بجسمك لا ندري وقتها إلى ماذا ستتحول.. هل إلى طفل صغير أم إلى شيئاَ آخر.

رجع عمر إلى الخلف وابتعد عن سلامة وهو مشغول البال.. ولسان حاله يقول..شيئاَ آخر؟ ثم أخذ الورقة التي فيها ميعاد

المقابلة ثم ركب سيارته وتوجه بها إلى طريق منزله..ولكنه توقف فجأة عندما لمح شيئاَ بطرف عينيه.

كان هذا الشيء هو فاترينة محل لعب أطفال.. اقترب من الزجاج والتصق به واعجبته دبابة.. وكانت باهظة الثمن لكنه لم يبخل على إبنه الصغير بهذه اللعُبه الجميلة..فكان يغدق عليه بالألعاب الجميلة الغالية رغم أن الطفل لم يتعدى عامه الأول.. فكانت حجته إنه عندما يلعب بجانبه ينبه عنده الحس السماعي.. وتقوية الذاكرة.. عندما أحضر له يوم لعُبة البازل التي استغرقت منه ثلاثة أسابيع في تجميعها أمام إبنه كوكي..

كان المهندس عمر لا يحلو له اللعب إلا في غرفة قد صنعها فوق الفيلا التي يسكن فيها.. غرفة منعزلة عن أي أحد...وبما إنه مهندس معماري فقد أبدع في تصميمها لتسعد أي طفل يهوي اللعب واللهو دون أن يزعجعه أحد ..

اقتحمت عليه زوجته صومعته بعد أن بحثت عنه في كل مكان بالفيلا..وأخيراَ وجدته في غرفته أو في مملكته.. ولكنه برر وجوده إنه أحضر لعبة جديدة لكوكي..فنظرت إليه زوجته بدهشة وقالت وهل هذه حجرة كوكي؟

قال نعم نعم ولكني كنت أريد تجميع الدبابة أكثر من مرة وتجربتها في اللعب حتى أطمئن إنها ستعجب كوكي ويفرح بها..

تركته زوجته وخرجت من الحجرة وهي تمسك بالإعلان وطوته بين يديها.. لأنها عندما دخلت عليه الحجرة وكان منشغلاَ بلعبته الجديده رأت هي الإعلان الذي يتحدث عن العقار الجديد وادركت أنه أخذ من العقار وان العقار الأن يعمل بطريقة صحيحة.. ولكنها لم تعرف أن زوجها عمر لم يقابل الدكتور برهان حتي هذه اللحظة.. وإنه لم يقابله إلا بعد أسبوعين على الأقل..حسب اتفاقه مع الممرض بعد أن أخذ منه الرشوة ليتخطى بها أقرانه من الأطفال أقصد الرجال الباحثين عن الطفولة..

لم ينسى عمر الميعاد الذي ضربه له سلامة،وكيف ينساه وهو قد قام بتدوينه في أجندة مواعيده الخاصة جداَ فذلك الدواء الذي طالما انتظره طيلة الاسبوعان لإشباع هوايته..تقدم عمر نحو البناية التي فيها عيادة برهان ولم ينسى أن يغدق على سلامة بمبلغ صغير قد وضعه له في جيب سترته ليعجل له

بالدخول إلى الدكتور بأسرع وقت. وأخيراَ أصبح عمر وجها لوجه مع الدكتور برهان..كان رجل ذو عينان غائرتان تنم عن ذكاء..ذو شعر يضربه الشيب ورفيع القوام طويل القامة..رحب برهان بالمهندس عمر وطلب منه النوم فوق الشيزلونج المخصص لدكاترة الأمراض النفسية.. لكن عمر رفض بشدة وعلل ذلك بأن الأمر لايحتمل..وطلب منه إعطاءه الدواء..ولكن برهان أصر أن لايعطيه الدواء قبل أن يعرف منه بعض الأمور عن طفولته فالجرعة تعطى حسب الحالة النفسية للمريض..وعندما رأي عمر مصمماَ على الرفض..ذهب برهان إلى خِزانة صغيرة بها بعض الأدوية.. وناوله قرص صغير.. فوضعه عمر في فمه سريعاَ وسرعان ما ظهرت عليه أعراض استسلام غريب لأوامر برهان الذي طلب منه ولكن بطريقة الأمر أن يجلس حيث أراد منه أول مرة على الشيزلونج.. فإستجاب عمر وجلس مع برهان طيلة ساعة ونص الساعة يجيب على أي سؤال يسأله له برهان..

خرج عمر من عند برهان سعيداَ منتشياَ بما حصل عليه من الدواء الذي سيجعله طفلاَ سعيد.. فقد أخذ منه كمية تكفي لمدة شهران على الأقل.. مر علي محل وابتاع منه كاميرا مراقبة ومن ثم مر علي مكان يبيع الألعاب وقد أشتري لنفسه هذه المرة ولم يشتريه لإبنه كوكي.. فقد إبتاع لنفسه القطار الذي طالما كان يحلم أن يشتريه له والده منذ صغره..ولم ينال هذا الحلم لقصر ذات يد والده في ذلك الوقت..فقد كان والده موظفاَ صغيراَ وعنده غير عمر أولاد كثر ولكنه إهتم بتعليمهم أفضل تعليم فمنهم الدكتور والمهندس والمدرس..

دلف عمر إلى صومعته من الباب الخلفي دون أن تراه زوجته فقد كان ميعاد الغداء ولكنه أوصد على نفسه الباب من الداخل وراح ينظر إلى القطار بعيون ملؤها لهفة وشوق ، وعندما لمس غطاء العلبة وسمع صوت ازيز السوليفان شعر بشعور غريب كالخدر يسري بجسده.. شعور لما يرواده من قبل مصحوب بمتعة لا متناهية..بعثر محتويات القطار على الأرض وراح يبني ويرص القضبان الحديدية في مكانها ويضع إشارات المرور واعد كل شيئاَ وأصبح القطار جاهز الأن للإنطلاق من المحطة..

رن هاتفه المحمول وكان المتصل زوجته التي كلنا تنتظره على الغداء فتعلل لها أنه في صومعته لأنها كانت غير مرتبه وسيأتي

حالاَ على الغداء..لكن زوجته فاجأته إنها لم تتصل به بخصوص الغداء ولكنها وفي صوت متوتر صاحت به أن خزانته التي في مكتبه فارغة تماماَ من علبة مصاغها.. وايضاَ من مبلغ مالي كان في الخزانة قد وضعه عمر قبلها بيومين..

أبلغ عمر الشرطة وبعد عدة تحقيقات لم يجد المحقق أية تلفيات وقال أن الخزانة قد فتحت بمفتاحها الأصلي وإن منافذ الفيلا كما هي ولا يوجد آثار كسر أو تلف..وقد طلب من عمر التذكر هل أعطى نسخة من المفاتيح لشخص ما..أجاب عمر بالنفي ووجه المحقق نفس السؤال لكل العاملين بالفيلا..وعندما وجه المحقق نفس السؤال إلى زوجة عمر الذي أجابت بسرعة إنها تتهم الدكتور برهان لأنه من المحتمل إنه أعطى زوجها شيئاَ جعله مسلوب الإرادة..ثم ذهبت إلى دولاب ملابسها وأعطت المحقق الإعلان الذي يخص الدكتور برهان.. لكن الضابط قال لها إنه إحتمال وارد ولكنه لم يقدر على محاسبته واتهامه إلا إذا ظهرت أدلة دامغة لاتهام برهان ولكنه طبقاَ للقواعد التحقيق قد أمر بمثول الدكتور برهان أمامه في مكتبه في الغد...في نفس الوقت الذي كانت النيابة تأمر برفع البصمات من مكان الجريمة ولكنها لم تجد اية بصمات تدل على دخول أو خروج برهان من الفيلا..ولكنها إتفقت مع المحقق على شيئاَ سيجعله يقبض على برهان إذا ثبت أنه الفاعل.

في صباح اليوم الثاني ذهب عمر إلى المحقق وتنازل عن محضر السرقة بملئ إرادته وأكد للمحقق أن المسروقات لم تفارق فيلته وسأله المحقق ما الذي حدث..قال له إنه خائف على سمعة الدكتور برهان.. لكن المحقق قاطعه وقال له ولماذا لم تنتظر حتى يتم التحقيق معه لأنه يشك به هو ايضاَ.. لكن عمر القى قنبلة على أذن المحقق عندما قال له إنه لم يذهب عند الدكتور برهان من أجل أن يأخذ عقار لإعادته طفل لأنه بالفعل عقله كأي إنسان يحب أن يكون طفلاَ احياناَ بلعبه من الأطفال أو حنينه إلى لعبة كان يشتهيها وهو صغير وكثيراَ من الأمثلة.. لكنه كان يذهب لبرهان لإنه دكتور نفسي وكان يعالج زوجته عن طريقه ويحضر هو الجلسات النفسية بدلاَ من زوجته كي يرفع عنها الإحراج ولأنها رافضه للعلاج.. لأنها غير معترفة بمرضها النفسي.. هنا قال المحقق وهو مرض السرقة أليس كذلك..؟

ولكن مع علاقة أن تتهم نفسك بأنك طفل أمام زوجتك والجميع ومرض زوجتك النفسي..؟ أجاب عمر كان هذا بيني وبين برهان لكي تنشغل زوجتي بمرضي وتنسى مرضها قليلاَ.قال المحقق وهل نجحت خطتكم؟أرى إنها لم تنجح حتى الآن..أجابه عمر لكنها على الأقل بدأت تلوم نفسها الأن وتتراجع عن السرقة إلى حد ما فأنا اتابعها عن طريق زرع كاميرات في كل مكان في الفيلا وأرى أنها تتحسن بالفعل..ثم نظر له عمر بعد أن وقع على التنازل عن المحضر وأغلق الباب خلفه ومضى..فتح المحقق الباب وطلب من عمر التوقيع على محضر آخر وهو الإزعاج.

الحكاية الرابعة:

المعطف

استقل سيارته وكل ما كان يجول في خاطره وقتها هو الانتقام ولم يسعفه حظه أكثر من مرة لتفيذ خِطَّة قد أجمعها في رأسه طوال الليل، وعندما حاول التنفيذ باءت بالفشل الذريع.. ولا يعرف أهو الحظ، أم هو عدم اكتمال التخطيط الجيد الذي فيه ثغرات صغيرة تحول بينه و ما ينوي افتعاله.

انعطف بسيارته ناحية المصنع الذي كان يعمل به قبل أن يتم الاستغناء عنه، مع التطهير الذي يلازم حال معظم الشركات والمصانع هذه الآونة ،إما بسبب الكورونا أو لأسباب أخرى تتعلق بالمصنع نفسه، أو بأي سبب هو نفسه يجهله.

بسيارته توقف خلف المصنع وراح يراقب بابه الشاهق من بعيد على أمل أن يجده خارجًا من الباب ثم يتبعه ويقوم بتنفيذ خطته الجديدة التي كان يأمل هذه المرة أن تنجح. وتؤتي ثمارها حتى يرتاح مما هو فيه..غير إن الشمس أوشكت على الغروب، فشعر بغربة عُصفور فقد فرع شجرته أو فارق أمه..كان الغروب يعني له هذا ولكنه وضع على وجهه اللثام وترجل حتى وصل إلى باب المصنع، وغير من طبقة صوته حتى لا يعرفه رفاعي حارس البوابة، فكانت تربطه به زمالة عمل على الأقل وهو يخرج كل يومًا من المصنع ليلقي على سمعه آخر طُرفه..حتي إن رفاعي إلى اليوم لا يصدق أن المصنع قد استغنى عنه وعن باقي العمال لأنه عُدّ خسارة كبيرة وخبرة مفقوده..وصل إلى رفاعي وناوله سيجارة ثم أردف يسأله عن المدير أهو في الداخل حتى الآن؟

لم يجبه رفاعي إلا بعد أن قال له إنه قريب له من البلد ويحتاج يطمئن على أحواله..أكد له رفاعي إنه لم يحضر اليوم وأنه في إجازة مدة أسبوع.

استدار عائدًا مستشيطًا وقد برقت أمام عيناه ألف خُطَّة وخُطَّة بديلة.

توقف أمام منزله ثم دس ورقة من فئة الخمسة جنيهات في يد حارس العَقَار الذي أخذها على مضض بعد أن نظر إليها مختلسًا..فبادره بالسؤال عن المدير بعد أن قال له إنه قريبه ومعه رسالة من البلد بها طرد طعام وغيره.. برقت عين حارس العَقَار واعترف سريعًا بمكانه..وكانت الإجابة صادمة له.. كان المدير ينعم الأن بإجازة في الساحل الشمالي للترفيه عن نفسه من قسوة العمل في الآونة الأخيرة.. فأي قسوة عمل هذه؟ هل هي التسبب في قطع عيش العاملين بالمصنع؟ أو ماذا ما أدري يا سادة..المدير الوغد ذهب ليستجم إذاَ.

أخذ سيارته دون تفكير بعد أن منحها الوقود الذي تحبه الذي أخذ نصف ما في جيبه من نقود..واتجه بسيارته صوب الساحل الشمالي..لفت نظره اعلانات عن ساحر على المسرح في عروض بهلوانية سوف تقام الليلة والإعلان يملأ المكان هنا وهناك وبكثرة..وعلم بطريقة ما إن كل نزلاء الفندق سيحضرون العرض لأنه عرض مجاني..وأن المدير من أنصار المجانية.

إلى المسرح دلف ومن ثمة إلى حجرة الساحر الذي سيلعب لُعْبَة خداع الجَمهور.. ثم بعد نصف الساعة خرج من حجرته في ملابس الساحر.. هل قتل الساحر وأخذ مكانه أم اتفق معه وأعطاه النصف المتبقي من أمواله؟ لا ندري ماذا حدث!! توجه صوب المسرح ووقف أمام الصندوق السحري وكان المدير يجلس في الصفوف الأولى وبجانبه أولاده وزوجته وبالطبع لم يتعرف عليه لأنه كان متنكرًا جيدا وغير متوقع حضوره في هذا المكان.

أخرج من جعبته السيوف الذي سيرشقها في الضحية يميناَ ويساراَ..وبعد أن يرشقها في كل مكان يخرج الشخص وكأن شيء لم يكن.. أو يقطعه بالسيف نصفين ثم يعود مرة أخرى بعد أن يفرغ الساحر من تقطيعه ثم يصفق الجَمهور.

اتفق مع الجَمهور إنه سيضع عصابة سوداء على عيناه ثم ينزل بين الجَمهور ويختار شخص معين لا يعرفه وسيقطعه بالسيف ثم يرجعه مرة أخرى كما كان..وللمصداقية حتى لا يقول الجَمهور إنه يعمل معه فقد وضع العصابة على عيناه.

إلى الجَمهور توجه ثم وقف أمامه وفجأة وضع يده عليه واختاره. مع التصفيق والصفير صعدا إلى المسرح وادخله إلى الصندوق..ثم راح يرشق في جسده السيوف واحدًا تلو الآخر..ثم وضع قطعة من القماش ليخفي الصندوق.. وبعد ثواني معدودة أزاح الستار عن الصندوق وفتحه وكانت المفاجأة له كبيرة..خرج المدير سليم تمامًا وأخذ يحيى الجَمهور بالانحناء وَسَط تصفيق حاد وذهول له هو شخصيًا. مما اضطره إلى تحية الجَمهور وترك المسرح للفقرة القادمة..لا يعلم أن المسرح به فَتْحَة من أسفل الصندوق كان يعرفها المدير جيدا لأنه قبل أن يعمل مديرًا في المصنع كان يعمل أعمال أخرى وكانت هذه إحدى الوظائف فكان من حسن حظه إنه يعرفها جيدا وبذلك نجا من الموت المحقق.

أطلق لقدميه العَنان بعد أن رأي الساحر الحقيقي يشير عليه لأفراد أمن الفندق، لأنه عندما دخل حجرته أفقده الوعى بعد أن ضربه في مؤخرة رأسه بيد السيف ثم أخذ مكانه على المسرح.

من مكانه قفز واستطاع الهرب من قبضة الأمن وأختفى تمامًا متسللًا إلى سيارته وعاد من حيث أتى، وفكرة الانتقام ما زالت تراوده. وحمد الله أن الخُطَّة فشلت لأنه لو قتله لكان افتضح أمره وقبض عليه في التو واللحظة لكنه فكر في خُطّة كيف يتخلص منه دون أن يترك خلفه أي دليل صغير على جريمته.

إلى شُقَّة المدير صعد بعد أن غافل حارس البناية واستطاع الدخول إلى الشُّقَّة على ضوء هاتفه المحمول ثم دخل إلى حجرة المكتب ووجد عليه بعض الأوراق وتوجد أدوية وعلاجات..التقط بعض الصور للأدوية..ومنهم دواء يعرفه لكنه لم يتذكر ماذا يعالج.. ثم وجد مظروف أصفر وبه عدة أوراق تقرير طبي لتشخيص حالة مكتوب فيها وقد اكتشفنا بأنه حالة رهاب الشياطين أو (ديمونوفوبيا) بحالة واضحة لا شك فيها.

أخذ صورة من التقرير الطبي وجميع الأوراق داخل المظروف وأعاده مرة أخرى إلى مكانه ورتب الأوراق كما كانت وخرج من الشُّقَّة وقد اختمرت في ذهنه بعض الأفكار.

وفي منزله دخل على محرك البحث ليعرف أكثر عن المرض. ووجد إنه...حالة رهاب الشياطين أو ديمونوفوبيا إن جاز التعبير، وهو خوف غير طبيعي ومستمر من الكائنات الخارقة، ويعتقد الذين يعانون هذه الحالة أن هناك كائنات شريرة موجودة في المنزل مثلاَ أو أي مكان يذهبون إليه وهي تتجول بحرية وقد تسبب لهم الهلع والضرر..ثم بحث مرة أخرى عن الأدوية التي قام بتصويرها، فوجد إنها أدوية لعلاج الهلاوس الدماغية والرهاب وما شابه وأدوية أخرى خاصة بالأزمات القلبية وضعف عضلة القلب..ثم أغلق البحث ونام في سريره في ارتياح شديد بعد أن برقت عيناه وأبتسم..ثم راح في سُبات عميق.

لم يتبق سوى يومًا واحدًا على عودة المدير إلى منزله أخرج من خزانة ملابسه معطفه الأسود القاتم ووضع على رأسه قبعة لا يظهر منها ملامحه إلا القليل وخرج من شقته يشق طريقه إلى مهمته التي راح ينسجها طوال الليل.

إلى شُقَّة الرجل صعد مرة أخرى وتجول في كل المكان زارعاَ سماعات صغيرة الحجم، ولأنه كان قد درس الشُّقَّة جيداَ فلم يستغرق وقتا كبيرًا في إنهاء مهمته. ورتب المكان كما كان، وعند باب الشُّقَّة لمح نفسه بالمرآة التي كانت بجانب الباب، وراح ينظر إلى نفسه متأملًا ملامحه وهيئته التي تغيرت كثيرًا عن شهرًا مضى، منذ أن كان موظفًا مثاليًا بالمصنع، وراح يتأمل كيف غير دافع الانتقام في سلوكه وهو الذي كان لا يؤذي قطة، قد تحولت رغبة الانتقام في دمه وجعلت منه رجلاَ جديدًا لا يعرفه..تراجع إلى الخلف وخرج من باب الشُّقَّة قبل لحظة الانفجار.. انفجاره في البكاء على حاله وشخصيته الجديدة راح يتوسل إليها ألا تفعل والأخرى تقول له لا ترحم.

خرج من باب البناية بطريقة عادية يمسك رأسه ويضع يده على فمه وكأنه كان عند دكتور الأسنان الذي كانت عيادته في نفس البناية ثم دلف إلى سيارته واستدار عائدًا إلى منزله.

وفي الليل بعد أن اطمئن على وجود المدير داخل الشُّقَّة بمفرده وبعد أن افتعل قصة لخروج زوجة المدير وأولاده عن طريق الحيلة، التي بها جعل المدير يجلس بمفرده في المنزل، دخل إلى الشُّقَّة في أثناء نومه وأحضر قلم سحري وكتب بعض الطلاسم الغير مفهومة على المرآة وكتب مثلها على الحوائط، مفعول الكلمات وسحرها يمكث نصف ساعة على الحائط..ثم استعد للحفلة وأحدث جلبة في بَهْو المنزل ثم ارتدى معطفه الأسود ووضع فوق رأسه جمجمة بشرية مخيفة.

خرج المدير من حجرته على الصوت في الظلام فانكفأ على وجهه .. لمح خيال يمر أمامه بسرعة، فتسمر في مكانه مع سماع الأصوات المرعبة الصادرة من السماعات الموجودة داخل الشُّقَّة أصبح الجو كله مرعب مع إضاءة إعلان باللون الأزرق خارج المنزل أضفى على الأجواء مزيدًا من الرعب..سرع من مكانه يتحسس الحائط لإضاءة الأنوار..أضاء المصباح ثم انطفأت الأنوار مرة أخرى واستمرت محاولاته بيده المرتعشة وأنفاسه المتقطع، ثم أشعل شمعة وتسمر في مكانه عندما وجد الطلاسم على الحائط في كل مكان باللون الأحمر والأزرق، ثم ظهر أمامه فجأة بالمعطف الأسود ويضع على وجهه قناع جمجمة مشقوقة الرأس وأصدر صوت مخيف..خفق قلبه بشدة ولم تقوى قدماه على التحرك من مكانه وسقط على الأرض.

بعد أيام كان يقف أمام باب المصنع.. المصنع الذي لم يترك الذَّهاب إليه كل يوم على الرغْم إنه لم يوجد به وتركه منذ مدّة كبيرة، ولكنه الحنين إلى عمله القديم وارتباطه به حد الجنون، يطالع إعلان قد لصقه أحد العمال على باب المصنع، ولأنه يتابع أحوال المصنع وقف تجاه الإعلان وكله شغف عن أي خبر جديد.

كان الإعلان عن نعي المدير وتفاصيل العزاء ودون الخوض في تفاصيل الوفاة.

عندما ربتت على كتفه يدًا غليظة فألتفت من فوره منزعجًا ناظراَ في عين من خلفه.

وجد رجل ذو هيئة وقورة ممشوق القوام عليه هيبة هو يعرفها جيداَ، وسأله في لغة صارمة.

أأنت صادق عبد الصبور؟

أجابه وهو يعرف معنى السؤال

نعم أنا هو

هل تعرف لماذا أتيت إليك؟

نعم أعرف

إذاَ تفضل معي.

الحكاية الخامسة :

التميمة

هناك رجل يمر من أمامي يتدثر بمعطفة الداكن..ويعتمر قلنسوته البنية ويصنع من الكوفية نقاب يخبئ به وجهه، فلا يظهر منه سوى أنفه.ليلة بردها شديد قارص ثم أختفي عن ناظري، فركت يدي من البرد وأحكمت قبضتي على قفاز كنت قد ابتعته منذ زمن، ويبدو إنه قد أصبح مقاسه أقل من قبضة يدي..ولكني وجدت المعطف يسير من خلفي.

نعم المعطف فقط دون الرجل الذي كان بداخله منذ قليل.. تُرى ماذا حدث؟ وأين اختفى الرجل؟ بل وأين قدماي أنا؟ فقد أطلقت لهما العِنان من هول ما رأيت.رباه ما هذا؟ معطف يسير بغير جثة؟ أو إن شئت قل إن الجثة تجري خلفي الأن دون المعطف.

ولم أدري بقدماي إلا وأنا أصعد درجات السُلم بغير هواده وبغير أن ألتفت ولو مرة خلفي، نفذت من باب حجرتي في الدور الأخير.. نعم كما قرأتها نفذت من باب الحجرة كما ينفذ أي عملاق ضخم الجثة داخل حائط، نفذت تاركاَ خلفي الباب محطماَ.. على الرغْم أن حجمي ليس بالكبير وجسمي ضعيف ولكنه الأدرينالين الذي كان يجوب أرجاء جسدي الخائف..أغلقت النافذة التي أمامي بإحكام حتى لا تمر الجثة ذات المعطف من خلالها، ثم ضحكت بصوت مكتوم لأن الباب مفتوح على مصراعيه

لدخول الجثة..ارتميت على السرير وبدون أن أبدل ملابسي، ثم دخلت في سبات عميق كأنني لم أنم منذ أمد بعيد

صحوت في الصباح الباكر على صوت هاتفي المحمول ينذر بموعد العمل.نسيت الليلة الماضية برمتها ولم أذكرها تماماً وكأنه كان كابوس، لكن كانت رأسي تؤلمني قليلاً.وعندما انتهيت من دخولي الحمام وإعداد الإفطار ..توجهت إلى خِزانة ملابسي لاختار قميص أرتديه فأنا اليوم على موعد مع السعادة، مع زوجتي المستقبلية.توقعت طبعاً كما توقعتم أنتم الأن أن أفتح خِزانة ملابسي أجد فيها المعطف معلق بداخلها أو أجد الجثة ترتدي المعطف.. لكن لا شيء من ذلك حدث.. فأنت قارئ خيالك واسع يا صديقي

لكني فتحت خِزانة الملابس وأزحت ملابسي ثم انتقيت من بينهم قميصي الجديد،، ومرت الساعة بسلام ونسيت موضوع المعطف تماماً

دَلفت إلى سيارتي وعندما أدرت المحرك لم تتحرك، ولم أسمع صوت المحرك يعمل..فتحت غِطاء السيارة من الأمام ورميت المعطف الذي كنت أرتديه في مَقْعَد السيارة الخلفي خوفاً عليه من أن يتسخ عند شروعي في الإصلاحات وشمرت عن ساعدي

ثم شرعت في فك طلاسم المحرك الذي دبت فيه الروح قبل أن المسه، ودار محرك السيارة، لم أعر الأمر اهتمام ولا سألت كيف أفاقت السيارة من غيبوبتها من شدة الفرحة،ثم توقفت أسفل الشركة ومددت يدي إلى الكرسي الخلفي فلم أجد المعطف ولكني وجدت مكانه سوار معدني يشبه إلى حد ما السوار الذي يعالج أمراض الروماتيزم،، وضعته في يدي وكان في نفس مقاس يدي تماماً وشعرت فعلاً بارتياح في الفقرات القطنية التي كانت تتعبني أثناء القيادة.

توجهت إلى باب الشركة مسرعاً لأنني تأخرت حوالي ربع الساعة بسبب عطل السيارة..ولكني لاحظت أن خطوتي أصبحت رشيقة على غير عادتي.وفهمي للأشياء مختلف، ونظرات إعجاب من حولي لا يخطأها أحد..باختصار كأني شخص جديد.

ثم استقبلتني السكرتيرة بهذا الخبر.

قالت لي إن الحاج عطوة المشالي يجلس منذ الصباح في مكتبي وكان الحاج عطوة هو مقاول يعمل لدى شركتنا وكان يدين للشركة بمبلغ كبير وقد جاء ليسدد المبلغ.. دلفت إلى مكتبي بسرعة وجدت الرجل قد تبدل حاله، ويخرج الورع من وجهه الذي أصبح يعلوه التوبة والصلاح..دفع المبلغ نقدياً وخرج وهو يتمتم بكلمات لا أفهمها، لكني أعتقد إنها كلمات عن التوبة..وفي نفس الوقت تسلمت السكرتيرة البريد الإلكتروني الخاص مناقصة كان لا أمل منها أبداً،، لكن العطاء قد رسي على شركتنا لانشغال الشركة المنافسة في مناقصة أخرى فتركتها لنا

أما الخبر الأكثر جمالاً عندما اتصلت بي روميساء وقد قالت لي أن والدها وافق أخيراً على خطوبتنا..نظرت مطولاً إلى التميمة حول معصمي وقد أيقنت إنها هي السبب في كل ما يحدث من الحظ الذي أنا فيه، لقد تفتحت كل الأمور وكل الطرق المغلقة فجأة من بعد أن حصلت عليها من المعطف

ولكني كنت غير متيقِّن من ذلك الظنون وعلى الفور ذهبت إلى الدكتور عبد العليم حجازى زوج خالة ابنة عمي من بعيد ولكنه عندما علم بقصة السوار هذه بدأ يتهكم علي ويصفني بالجهل ولأنه كانت الدكتوراه التي يملكها في هذا الإطار لما تحملت منه كل هذه الإهانات

فقال هل تعلم أن الدكتوراه التي معي عن الشعوب المتخلفة الذين يعتقدون في هذه الأمور البدائية والسحر والشعوذة وأثبت بما لايدع من الشك إن كل هذه الأشياء خرافات ونهرني بشدة. لكنه في نفس الوقت طلب مني ترك التميمة لعمل بعض البحوث والفحوصات عليها..ولما رفضت قال لي مضطراً إنه سيحضر مؤتمر غداً ويريد أن يكون هو رئيس المؤتمر.. فنظرت إليه غير مصدق ولكنه ضحك وقال ليس ما في رأسك..،أنا سأخدها لأثبت لك إنها ليس لها قيمة وكل ما في رأسك هو الأوهام ليس إلا.. وافقت بفكرته على مضض ولكنه وعدني أن أخذها منه بعد المؤتمر مباشرةً

تركت الدكتور عبد العليم وهو يقلب في التميمة يميناً ويساراً بفرح غريب ثم وضعها في كفه وأطبق عليها.. خرجت من مكتبه وأنا هائم على وجهي.. وكأني طفلاً صغير ترك يد أمه في أول يوم من المدرسة.

وبمجرد ما خرجت إلى الشارع بعيداً عن مكتب الدكتور عبد العليم رن هاتفي المحمول وتشير شاشته إلى رَقَم روميساء اهتز الهاتف في يدي وترددت كثيراً قبل أن أجيب عليها لأنني كنت متوقع تأجيل الخطوبة أو ألإلغاء تماماً فأثرت السلامَ ولم أجب على الهاتف ولكن سرعان ما أرسلت روميساء رسالة نصية مفادها أن والدتها شعرت بتعب بسيط ونقلت على إثرها إلى المشفى..وتم فعلاً تأجيل الخطوبة وأسرعت الخُطا إلى زيارة والدتها

وعند عودتي إلى شقتي في المساء شعرت بحركة غريبة داخل الشَّقَّة عندما حاولت إضاءة المصباح فلم يضئ وحاولت مراراً وتكرار دون جدوى..ولكني أشعر بالأنفاس في شقتي في مكان ما ،وخيالات تتحرك أمامي وتصدر أصواتاً ثم تختفي مرة أخرى وعلى ضوء هاتفي المحمول ذهبت إلى أزرار الإضاءة وعندما وضعت يدي على الزر وجدت يداً أخرى توضع فوق كفى فسقطت مغشياً عليّ.. عندما أفقت وجدت الدكتور عبد العليم يجلس بجانبي على السرير ويحاول إفاقتي وهو غارق في الضحك وعلمت منه بعد ذلك إنه هو نفسه الشبح ولامني وقال إن قلبي خفيف،، وسألته إن كان قد ترأس على المؤتمر كما قال أم لأ، وسألته أيضاً كيف تسلل إلى شقتي وهو ليس لديه مفتاح الشَّقَّة.. ضحك كثيراً وقال أما عن دخولي الشَّقَّة فشقتك ليس لها باب أساساً يبدو أن أحداً قد حطمه تماماً لأنه مكسور.. وأما عن رئاسة المؤتمر الحقيقة، لا!!

أخذت نفساً عميقاً واعتلاني حزناً شديد، قلت له اذن فالتميمة ليس له جدوى أليس كذلك؟

ولكنه بروحه المرحة قال أنا فعلاً لم أصبح رئيس المؤتمر ولكن قد تم تعيني وزيراً للثقافة..ألم تقل لي مبروك؟ ! وأريد أن اقول لك إنه ليس بفضل التميمة كما تظن فأنا عملت طوال حياتي من أجل هذه اللحظة.. وتركني في حيرتي وخرج مسرعاً من باب الشَّقَّة..

يقول إنه عمل طوال عمره لهذه اللحظة وفجأة تذكرت أن التميمة ما زالت معه نزلت مسرعاً درجات السُلم وسابقت المصعد وعندما هبط المصعد للدور الأرضي وجدني أمامه وقد مددت يدي إليه ففهم ما أقصده فوضع التميمة في يدي على

مضض وكانت عيناه تفيض من الدمع..وقال في توسل هلا تركتها ثلاثة أيام أخرى؟ .. فقلت له ألم تعمل طوال حياتك لهذه اللحظة؟ .. ابتسم ابتسامة المهزوم وقال كل ما في رأسك مجرد خرافات وتركني ومشى..خرافات.. خرافات..

توجهت في الصباح إلى المشفى لزيارة أم روميساء ولكني لم أجدها فقد تحسنت حالتها فجأة وذهبت إلى منزلها منذ ساعة فتوجهت إلى منزلهم واشتريت بعض الورود التي تحبها روميساء وجلست في بيتهم وكان اليوم جميل ومرحب بي في كل مكان، وحددنا يوم الخطوبة بل أصر والدها أن يكون زفاف وليس خطوبة وفَقال خير البر عاجله..

وبعد ثلاث أسابيع أصرت الأسرة أن تذهب روميساء ووالدتها ووالدها لشراء الأثاث من مدينة دمياط..ولم يكن عندهم النية أن يأخذوني معهم من باب إبداء رأي في قطع وذوق الأثاث الذي سيكون في بيتي، ولما سألتهم عن عدم ذهابي معهم تحججوا بأن هذا من تقاليد عائلتهم، وسألوني هل تشك لحظة في ذوق روميساء في اختيار الأفضل؟ أومأت برأسي بلا..وقلت وأنا أنظر إلى عينا روميساء وأنا أنزع عن معصمي التميمة وأعطيها لها وطلبت منها أن ترتديها فهي جالبة للحظ وستحفظهم طوال طريق السفر.. وودعتهم على أمل بلقاء قريب بعد عودتهم..

وفي صباح اليوم الثاني صحوت من نومي على صوت هاتفي المحمول وكان المتصل والد روميساء..وعندما سألته عن أخبارهم قال لي أن روميساء في حجرة العمليات الأن بعد أن انفجر إطار السيارة على طريق السفر ونجا هو ووالدة روميساء بأعجوبة من الحادث..في نفس الوقت بلغني بقرار إنهاء الخطوبة ونسيان هذا الموضوع

الحكاية السادسة:

ذو القدم الواحدة

تجلس كعادتها بعد أن تفرغ من صلاة الفجر، حيث النفحات الجميلة الربانية، ولم يكن قد بزغ نور الشمس بعد، تجلس كل يوم قبل الشروق في شُرفة منزلها الذي يُطل على ساحة كبيرة، يمكنها أن تطالع الأفق من خلالها بأشجاره الجميلة الوارفة.

تراه كل يوم متدثرا بملابسه السوداء، يعبر الشارع من أمامها فينخلع قلبها كل يوم..على الرغْم أنها تراقب ميعاد وصوله ولم يكن ظهوره مفاجئًا بالنسبة لها إلا أن قلبها ينخلع في كل مرة تراه فيها. طريقة ارتداءه الملابس ومشيته بعكازين يتكئ عليهم وشعره الأشعث وكل ذلك. ودائمًا يحمل تحت إبطه حقيبة بلاستيكية سوداء، أما عن صوت قطعة الحديد أسفل عكازه الذي تصدر صوتاَ منتظمًا كلما خطا خطوة علي الأرض ينخلع قلبهامن ذلك الصوت.

الصورة كلها أشبه بأفلام الرعب..تأكدت أن الحقيبة التي فوق كتفه بها السكين الذي قتل بها ضحيته.. وعند عودته، يضع في حقيبته ذراع أو قدم الجثة بعد أن أجهز عليها وقطعها، ويلقيها في صندوق القمامة أمام منزلها.

اليوم واليوم فقط واتتها الشجاعة ونزلت إلى الشارع مختبئة خلف شجرة كبيرة، استرقت السمع لوقع عكازه الذي اقتربت خطواته.. ومر من أمامها ولم يكن بينهما سوى مترًا واحدًا فقط..وضعت يدها على فمها لتكتم أنفاسها حتى لا يشعر بها ذلك السفاح العتيد..ولم تسنح لها الفرصة لترى ملامحه جيدا فقد كان متخفيا كعادته.. انتقلت من خلف شجرة إلى أخرى وتتبعت القاتل المحترف ولا تعرف هل تتحمل لون الدماء وتقطيع جثة أمامها؟

تلك الأفكار تدور في رأسها الصغير. انزوى الرجل في شارع مظلم ينتهي بحائط من الطوب وموصد وفي آخره أكوام متكدسة من صناديق القمامة متراصة بجانب بعضها.. والتفت خلفه مرة واحدة فانزوت خلف العمود حتى لا يراها وكتمت أنفاسها المتقطعة، واستعدت للحظة وهو يقتل إنسان أو يخرج الجثة من صندوق القمامة فتراجعت خوفا وأغمضت عينيها.

عندما مَدّ الرجل يداه فوق كتفه وجثى على ركبة واحدة بصعوبة وأخرج لفافة ورمى ما بها على الأرض بعد أن وضع مفرشا بلاستيكيا ونثر على الأرض الأرجل والعظام المفتتة وقطع صغيرة من الأمعاء. وما زالت الفتاه تضع يدها على عينيها في رعب وجسدها الصغير يرتعش بشدة..وتصل إلى انفها رائحة الدماء.

ثم سمعت صوت مجموعة كبيرة من القطط قد خرجت جميعها من صناديق القمامة على رائحة الدجاج وبقايا العظام الذي وضعها لها الرجل. نظرت الفتاة حولها فوجدت القطط تأكل، ولم تجد للرجل أي أثر فقد أختفي.. ولكنه ترك في قلبها الصغير أجمل أثر.

الحكاية السابعة :

الأتوستوب

تأخر اليوم عن موعد خروجه من العمل وقد أنهى من فوره مكالمة هاتفية مع زوجته، أخبرها إنه سوف يتأخر قليلاَ ولكنها لم تهتم لتاخيره، ولكنها أكدت عليه بعض الطلبات التي سوف يأتي بها وهو عائد من العمل.. أغلق هاتفه ممتعضاَ وهو ينظر إلى الأفق شارد الذهن..وقال في نفسه بصوت عالي داخلي.. تمااااام تمااااام.. ثم دس الهاتف في سترته.. بعد أن إرتداها على عجلة من أمره وخرج إلى الشارع باحثاَ عن سيارة تقله إلى منزله..كان أرتدي سترته الفاخرة ويمسك بين يديه حقيبة جلدية متوسطة الحجم.

إتجه إلى نهر الشارع مباشرة فكانت شركته في مكان موحش بعض الشئ وقليل جداَ أن تمر سيارة واحدة من هذا المكان إلا نادراَ..نظر إليها وهي قابعة في الظلام تخلو من الموظفين، فهو أخر موظف يخرج منها بسبب كثرة العمل.

لمح أنوار سيارة قادمة بتأني من جيب الظلام.. أشار بأصبعه بطريقة الأتوستوب، فتوقف السائق على الفور وسرعان ما جلس بجانبه دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

ولكنه لاحظ أن السائق يرتدي ملابسه الداخلية فقط بالرغم من الشتاء القارص في الخارج..ويضع بين شفتاه سيجارة من أردء الأنواع الذي يمكن أن تشتم رائحتها على الإطلاق..ولكن تنبعث منها رائحة أخرى لا يعرف مصدرها.

طلب منه أن يزيد من سرعته قليلاَ فهو يطوي الطريق في تؤده شديدة..ولكنه نظر إليه مطولاَ ونظر إلى بدلته وتفحص الحقيبة بعناية شديدة ثم وجه له سؤال مباشر..

= هل تعمل في الشركة التي على الطريق.. أهي شركة أم ماذا؟

أجابه بسرعة

_ نعم هي شركة.. أتقصد لأنها في مكان موحش وليس حولها منازل أو شركات أخرى؟

أجابه بعد أن اخرج له علبة من العصير وناولها له والح عليه أن يشرب منها وأكد له إنها منتج نظيف من إنتاج الشركة التي يعمل بها.

=نعم نعم أنا أمر من أمامها كل يوم ولكنها تستوقفني كثيراَ وفضولي لا يمنعني من أن أعرف ما هو نشاط هذه الشركة ولماذا هي في مكان منعزل هكذا، أسئلة كثيرة لم أجد لها إجابة غير عندك.. ها ماذا تقول؟

نظر إليه بعد أن تناول أول رشفة من العصير.. وقال =الهذا وقفت لي على الفور عندما أشرت إليك ؟ وأنا كنت أحسبك تود إيصالي في طريقك مع وجود هذا الظلام والشتاء القارص..رغم إنك تقريباَ لا تشعر به لأنك تقود السيارة بملابسك الداخلية...!!

أجابه بعد أن نفث دخان سيجارته في وجهه ومع ابتسامة خفيفه قال له

_ لا تشغل رأسك بأسئلة قد تؤلمها فيما بعد وأنا أحتاج رأسك الجميل.

= رأسي أنا؟

قالها وهو يضع كفاه فوق عنقه ثم تحسس رأسه وقال له = إما أن تزيد من سرعتك أو أنزل هنا في أي مكان.

ربت السائق على كتفه وقال

= لا تخف سأزيد من سرعتي أين ستذهب في هذا المكان الموحش الذي يشبه شركتك التي تعمل بها؟

ثم أخرج سيجارة أخرى ووضعها في فمه ثم عزف بشفتيه لحن الموت.

لم يسرع بسيارته كما طلب منه مراراَ.. ولكنه إستمر في عزف اللحن المزعج.. وينفث دخان سيجارته في وجهه.. إنتهى من شرب العصير ولم يثني على صناعته ولكنه قال رأيه مباشرة في وجهه دون مواراة، ولعن صاحب المصنع لإن المنتج فعلاَ ردئ جداَ.. بل قد يصيبك طعمه بالغثيان.. حتى إسمه سخيف.. وسأله

= من إختار ذلك الاسم؟

قال بلهجة صارمة

_ إختارته زوج صاحب المصنع على اسم والدتها.

ولكنه ضحك منه وقال

= لماذا هل هو مولود جديد؟ حتى تسميه على اسم والدتها؟

لم يفهم مزاحه معه ولكنه باغته بغباوة وقال بلهجة جادة = نعم هو مولود جديد لمنتجات المصنع.

بعدها أخرج رأسه من نافذة السيارة يتوق إلى تنفس هواءً نظيفاَ.. فالرائحة داخل السيارة تبعث على الغثيان

توقف بالسيارة فجأة، في مكان مظلم أسفل صخرة كبيرة وراح ينظر يميناَ ويساراَ.. ثم شرع في قضاء حاجته..

إنتهز فرصته الذهبية.

الفرصة التي كان يفكر بها طوال الوقت منذ أن استقل معه السيارة، ثم فتح حقيبته فجأة.. وأخرج منها عدته التي يعمل بها في تلك الأجواء، وكانت عبارة عن مطرقة ضخمة.. ضربه بها على رأسه من الخلف، فوقع من فوره مغشياَ عليه.. جذبه إلى صندوق سيارته النقل وأخفاه وسط صناديق العصير التابعة للمصنع..

توجه مرة أخرى عائداَ إلى شركته ومعه الصيد الجديد.. صيداَ ثمين فالرجل بصحة جيدة ضخم الجثة.. بعد أن أنهى وضعه داخل صندوق السيارة توجه إليه بنبرة المنتصر وقال

= سأحقق لك فضولك الأن.. أظنك عرفت ما هو نشاط الشركة التي اعمل بها.. أما عن رأسي الجميل الذي كان يعجبك.. فإن

رأسك كان يعجبني أكثر منذ أن إستقليت معك سيارتك العرجاء ولكني لم أبح لك..

ثم إستدار بالسيارة عائداً إلى الشركة.

الحكاية الثامنة :

المرفأ

كان يعمل كحارس ليلى في الميناء.. في بداية عمله، خيره صاحب العمل أن يعمل نهارا أو ليلاً...فإختار العمل ليلاً لحبه للهدوء، ومن ناحية أخرى الليل تسكن فيه الحركة داخل الميناء من العمال ولا يخلو إلا من بعض مخلصين الجمارك التي أضطرتهم الظروف وبُعد منازلهم أو تأخر إستلام البضائع إلا من هذا الوقت. ولكنهم قلة، وكان يقول دائما الليل جميل ما احلاه خصوصا عندما يهدأ المكان، وينبعث صوت المذياع الصغير خاصته وهو يستمع إلى المسلسلات أو صوت أم كلثوم..أو برنامج حلقات الرعب الذي كان يعشقه وكان تسليته كل أسبوع..

كان طوال عمره يتمنى أن يلتقي جني..نعم كما قرأتم بالفعل كان يتمنى أن يلتقي جني ويتحدث معه ويطلب منه الخلاص.

الخلاص من معاناته وفقره المضجع كان يتخيل أنه سيسخره ويجلب له الأموال بمجرد أن يأمره وسيصبح الجني عبداً عنده، يفعل معه ما يحلو له ويجلب له الكثير من الأموال أو يجعل الفتاه التي يحبها تحت أمره وطوعه، ويستطيع أن يؤدب والدها الذي رفض طلب الزواج منها لمجرد إنه فقير ومجرد حارس معدم.

كان المسلسل والكتب الذي يقرأها عن عوالم الجان تجعله يتشبث بحلمه أكثر وأكثر وكان يعتقد إنه سيقابل الجني قريباً.

كان ينتظر كل شهر الراتب على أحر من الجمر لينفقه على أحدث الكتب التي تتحدث عن كيف تقابل الجان، وعالم الأرواح وخلافة من الكتب التي تنتمي إلى هذا العالم الخفي السفلى، حتى أصبح عنده مكتبته الخاصة وعالمه الخاص.

توقفت دنياه وحياته وأحلامه على هذا الأمل الذي سيحقق منه كل اماله في الحياة، عالم المال، بطريقة سهلة وبسيطة،وهي تسخير الجن لحسابه وبعدها تتدفق الأموال.

ذات ليلة وهو غارق في تفكيره في عالمه الخاص يقف على رصيف الميناء وكان يرتكن بيديه على إحدى صناديق البضائع ويستمع إلى المذياع ككل ليلة شعر بهواء بارد خلف أذنيه، ثم سمع صوت ارتطام جسم صغير بالماء، وكانت ليلة باردة مظلمة حيث الظلام يلتف حول الميناء.

على الفور أخرج المصباح الكهربائي من سترته ووجهه حيث الصوت الذي سمعه، ليجد زجاجة تطفو فوق الماء وبداخالها رسالة، تطل من مقدمة الزجاجة، وضع يده جاهدا داخل الماء والتقط الرسالة بيد مرتعشة.

عندما أمسك بالرسالة ازداد الهواء خلف أذنيه ولكن الهواء هذه المرة كان ساخنا، مما جعله يتردد في فتح الرسالة.

ولكنه أدرك إن الموضوع جد خطير، مد يده المرتعشة وقلب مرتعش ايضا وهو لا يدري ما هو سبب كل هذا الخوف.

إستجمع قواه وفتح الرسالة فأنبعثت منها رائحة كريهة تحمل الرائحة والفضول يقتله ليعرف فحوى الرسالة الغامضة، كان لون أوراقها يميل الي اللون الأصفر ومكتوب فيها بخط غريب باللون الأحمر ولكنه يقرأ بصعوبة.

لم تقوى يداه على فتح الرسالة، يبدو أن هناك قوى تمنعه من ذلك.

شيء خفي لا يعلمه، شيء داخله يمنعه لكنه قرر في النهاية أن يأخذ الزجاجة كما هي.

تلفت يمينا ويساراً فوضع الزجاجة داخل سترته وتحسس مكانها وتأكد من وجودها بجانب قلبه.وأكمل عمله لكنه في هذا اليوم أيقن أن وضعه اختلف. لم يعد كما كان.

بعد أن كان حارس في الميناء أصبح يبحث عن أحد يحرسه.أصبح يشعر بإستمرار أن أحد يتبعه كظله ويشتم رائحة كريهة، وكأن الرسالة التي معه استلمها من سنين رغم أنه استلمها منذ دقائق قليلة، بمعنى أوضح فقد الزمن.

استجمع قواه ودلف إلى الحجرة التي يستبدل فيها ملابسه ليستجمع قواه ويحتسي كوبا من الشاي لعله يرجع إلى صوابه.ارتمي بجسده بجانب عم سلامة الذي يعمل غفير ليلي في نفس المكان رجل ضخم ذو شارب مفتول يغزوه المشيب.رحب به سلامة واعد له كوب من الشاي وأصر أن يحتسيه إلا إنه لم يشعر بوجود الرجل مع إنه كان يجلس بجانبه.إلا أنه قام من مكانه على الفور ليترك مكان حراسته ودون أن يستبدل ملابسه أطلق لقدميه العنان.غير أن عم سلامة فرح إنه قام من جانبه.بالطبع فكانت تنبعث منه رائحة كريهة كرائحة القبر.

كان يجري دون توقف.كان يشعر أن ظل يجرى خلفه بنفس سرعته ونفس الهواء الساخن خلف أذنيه.. توقف وتحسس الرسالة فوجدها في مكانها فاطمئن ونظر خلفه لم يجد شيء فوضع يده في جيب الظلام فلم يرى شيء رغم أن الميناء به أنوار.

استمر في العدو حتى وصل إلي أول الطريق الأسفلتي فأشار إلى حافلة تأتي من بعيد فتوقفت أمامه تماما استقلها مسرعا دون أن يسأل عن وجهتها..سأل السائق أين يمكنه الجلوس.. قال له في أي مكان يحلو لك.. نظر إليه بتعجب لأن الحافلة ممتلئة عن آخرها.. ولايوجد مكان، هنا أدرك أيضا أن شئ غريب يحدث له لأن الحافلة بالفعل فارغة ولكن هو الوحيد الذي يراها هكذا...مما اضطره إلى الوقوف..فنظر إليه السائق في المرآة التى أمامه في استغراب..ولم تمضي عدة ثواني حتى صرخ في السائق ويطلب منه التوقف بسرعة.. فقد رأى كل ركاب الحافلة تتحول الي رؤوس كلاب واخذت تنبح عليه.. لم ينتظر حتى تقف السيارة وألقي بنفسه بخارجها وهي مسرعة، فوقع وتدحرج بشدة فسقط في منتصف كوبري قريب من المنزل الذي يقطن فيه..استند براحتيه على الكوبري وأخذ ينظر إلي صفحة الماء وراح يغط في تفكير عميق.. وهنا أدرك أن الزجاجة التي في جيب سترته لعلها تكون سبب فيما يحدث له منذ أن أخذها عند المرفأ.. استجمع نفسه وألقي بها من أعلي الكوبري وأطلق لقدميه العنان عائداً إلي منزله.

صعد السُلم مسرعا حتي وصل إلى غرفته في أعلي البناية التي يسكنها في في الطابق الأخير وهي غرفة واحدة فوق سطح منزل قديم في حي شعبي حتى أن الحمام خارجها.

أثناء صعوده شعر كأن الظل يجري ورائه..فقال في نفسه إذاً الزجاجة ليست السبب فما زال الظل يطاردني إلا إنه أدرك أنها السبب لأنه وجدها على سطح المنضدة بجانب كتب الجان التي يعكف على قراءتها باستمرار..مد يده ليأخذ الرسالة حتى يلقى بها مرة أخرى من النافذة..شعر إن جدران الغرفة تضيق عليه وكان يشعر باقتراب الظل خلف أذنيه تماما، ويشعر به يلامس ظهره رغم أنه يستند بظهره إلى صندوق خشبي كبير يشبه صناديق الميناء فهو من جلبه إلى حجرته ذات ليلة..حاوطه الظل من كل جانب وتسارعت أنفاسه واحس بانفاس أخرى تقترب منه والرائحة الكريهة تقترب اكثر واكثر من وجهه.

رأي كتبه تطاير من حوله في دائرة منتظمة وتتساقط منها الكلمات على الأرض محدثة صوت كالحجر عندما يلامس سطح الماء، شعر بالماء تحت قدميه ويتصاعد إلى أعلى حتى وصل إلى صدره ثم أنفه أخذ يتنفس بصعوبة.

ثم وجد الزجاجة طافية على وجع الماء وبها الرسالة التي لايعرف ما بها حتى هذه اللحظة.. مد يده ليفتح الرسالة.. شئ ما جذبه إلى قاع البحر أسفل رصيف الميناء.

وفي الصباح تجمع الناس حول جثته التي انتشلها غفر السواحل من البحر ووضعوها على رصيف الميناء.

وعندما قام المحقق بتفتيش ملابسه وجد الزجاجة وبها الرسالة..وكانت تنبعث منها نفس الرائحة. أخرج المحقق منديلاً ووضعه على أنفه.. وقرأ الرسالة..

انتحرت بكامل إرادتي لأنني لا أقوى على ضغوطات الحياة.

الحكاية التاسعة:

مكتب البريد الملعون

وقتها كنا صغارًا عندما كنا نلعب بالكرة التي كنا نصنعها من الإسفنج ولا أخفي عليكم، كان بعض الأشقياء يصنعونها من الإسفنج الذي يجلبنه من الأتوبيسات العامة.. كما سمعت يا

عزيزي! يجلبنها من هناك،أما كيف؟ فكان أحدهم يصعد إلى الأوتوبيس ويجلس على كرسي، ثم يخرج آلة حادة كسكين أو شفرة حادة من الذي يستعملها والده في حلاقة ذقته، ويقوم بتقطيع الكرسي ويجلب الإسفنج، ثم يصنع منه كرة كنا نسميها كرة شراب ولها طريقة في الصنع. نعود مرةَ أخرى إلى مكتب البريد المهجور؛ كان مكتب البريد مهجور في الحي الذي نسكن فيه منذ عشرات السنين، وكان مبنى كبير جداَ يحتمل إنه انشئ أيام الدولة العثمانية أو الاحتلال الإنجليزي، لا نعرف ماهيته فنحن وجدناه هكذا..ولكننا كنا نلاحظ ونحن نلعب أمامه الكرة..إنه لو أحد الصبية الأشقياء صوب الكرة ناحية المرمى،كنا نسمع أصوات جماهير تصفق بحماس وكأننا نجلس في مسرح روماني في العصور الوسطى..والأغرب أن أحد الصبية كان عندما يصوب ناحية المرمى، الكرة كانت تسدد بطريقة صحيحة وذلك مع سماع الأصوات كم ذكرت لكم. كانت هذه من الأشياء العجيبة وكان يحدث هذا باستمرار، حتى كنا لا نستطيع التغلب على هذه الثلة من الصبية على الرغْم أنهم لا يفقهون شيئاَ في لعب الكرة ولك أن تعرف إنه لو حاولت مرة منع أحدهم من اللعب معك في فريقك..يسبك بأقزع الألفاظ ويلقى في الملعب الأحجار والقاذورات ويدخل بعضهم إلى الملعب لضربك في قدمك فتدحرج على وجهك، وينزف قدمك دمًا ووجهك الدماء..يعدون أنفسهم أصحاب الكرة لأنهم من صنعوها من الإسفنج المسروق. ويمر الزمن ولا يجرؤ أحدنا على دخول مبنى البريد، كنا دائمًا نمر من أمامه كل يوم في أثناء ذهابنا إلى المدرسة ولم نتحدث مرة واحدةَ عن الأصوات التي كانت تصدر عندما كنا نلعب الكرة..وكأن كل واحدًا منا يخاف أن يحكي للأخر حتى لا يتهمه بالجنون وأنه يسمع أصوات لا أصل لها.. ولكن كان يراودني شيئاَ بداخلي يحملني دائمًا على اكتشاف ما بالداخل، ياتُرى ما الذي يحدث بداخل هذا المبني العتيق، ما تلك الأصوات التي أسمعها أنا وحدي..ولكن هل أسمعها أنا وحدي فعلاَ؟ ما أدري..وفي إحدى الأيام قررت أن أدخل إلى المبنى.. هو في الحقيقة لم أقرر، بل هناك شيئاَ يحملني على ذلك، وبالفعل وقفت أمام بوابته الحديدية التي يكسوها الصدأ وكان المبنى بالداخل له ساحة كبيرة وله حديقة ذات نبات لا أعرف اسمه ولكنه كان ذابل ونبتت حوله نباتات أخرى متسلقة نسميها نبات شيطاني لأنها

تنمو دون زرعها ولا حتى ريها بالماء..نظرت حوالي قبل أن أدخل إلى المبنى حتى لا يراني أحدهم فيقول لوالدي وتكون العواقب لا يحمد عقباها..كانت البوابة الحديدة تسمح لرأسي الصغير وجسمي النحيل أن يخترقها بسهولة.. وبالفعل في لحظة واحدة كنت داخل حديقة المبنى ولم يبقى لي إلا عدة أمتار لأكون داخله واكتشف هذا العالم السري، وأخرج وأحكي لزملائي في المدرسة عن شجاعتي وإقدامي على المغامرة المثيرة..ووو..عندما وطأة قدمي داخل الحديقة شعرت كأن خيال يدنوا من خلف شُحمة أذني ..تغافلته للحظة ولكني استدرت وأطلقت لقدمي العِنان..واتجهت صوب البوابة الحديدية قاصدًا الشارع..وخرجت منها بأعجوبة لان البوابة عندما كنت أهرول نحوها كانت تذوب وتكاد تختفي وحولها نار كبيرة..اخترقت البوابة قبل أن تغلق تمامًا أو أصاب بحرق..ووجدت نفسي متدحرجًا خارج مكتب البريد..ملقي على الأرض أجثو على قدمي وعندما نظرت إلى المكان الذي خرجت منه وجدت إنه قد عاد طبيعيا..هرولت مسرعًا إلى منزلي وطرقت الباب بشدة فقابلتني أمي بدهشة ولم تستطع أن توبخني لأنني دلفت إلى غرفتي مسرعًا وأغلقت باب حجرتي جيداَ ووثبت على السرير ووضعت فوق الأغطية وأم أتمكن من جعل جسمي لا ينتفض.. كنت انتفض بشدة لدرجة أن السرير يصدر صرير عالي..ثم غفوت وشعرت أن الغطاء يرتفع إلى أعلى يكاد يلتصق بالسقف..ومن ثم أنا الآخر ارتفعت خلف الغطاء ثم دورت دورة كاملة وكأن يداَ قوية خرجت من نصف السرير وجذبتني إلى داخل السرير بمنتهى الشدة.. وجدت نفسي كأني أطير داخل بوابة زمنية لا أعرف نهايتها وفجأة وجدتني في مكان مظلم بالكاد أرى كف يدي ثم وضعت يدي على الأرض كي أقف.. لكن الأرض كانت زلقة ورائحة العفن تملأ المكان تحسست ملابسي فوجدت هاتفي مازال في جيبي أخرجته وعلى ضوء مصباحه كنت اتفقد المكان في الوقت الذي رأيت عين مشقوقة تشبه عيون القطط تنظر إلى ثم اختفت..حاولت التحرك من مكاني كنت أشعر أني أقف على رقعة من الأرض زلقة..تجولت بنور هاتفي أتفقد المكان من حولي رأيت مكان متسع به كراسي وأمام الكراسي يوجد شبابيك كل شباك يحمل رَقَم وشباك مكتوب عليه باللغة الإنجليزية الخزينة وكانت مكتوبة

بخط منمق باللغة العربية.. وشباك آخر مكتوب عليه المعاشات.. هنا أدركت أني داخل مبنى البريد.. سمعت أنين وبكاء يأتي من الطابق الثاني.. كان النحيب لصوت سيدة مسنة..أشرت بالمصباح على السلم فوجدت يكتسي باللون الأحمر بلون ورائحة الدم..عرفت هذا عندما اعتليت ثلاث درجات فانزلقت مرة أخرى إلى الأسفل.وأمام وجهي مباشرة أقدام تشبه إلى حد كبير أقدام حيوان لا أعرف ماهيته..رفعت وجهي إلى أعلى وكانت أنفاسي تتصارع داخل قلبي الذي كنت أشعر انه في غير مكانه وان شئت قل كان موضعه في قدمي..عندما نظرت إليه كان مخلوق لا يوصف كان خليط من حيوان مثل الكلب أو الذئب أو الاثنين مجتمعين ولكن الأغرب من ذلك كان يرتدى ملابس أنيقة ومنمقة رغم وصفه كما قلت..مَدّ إلى يده كي أقوم من مكاني ولكني تراجعت إلى الخلف واختفى.. في نفس اللحظة أختفي هاتفي ولا اعرف أين أختفي..ولكن عيناي كانت بدأت التعود على المكان.. لأنه من المعروف أن تمتلك أعيننا سمتين رئيستين تساعدنا على الرؤية بشكلٍ أفضل في ظروف الإضاءة الخافتة؛ وهما: قدرة حدقة العين على التوسع والتضيق، بالإضافة إلى امتلاكها نوعين من الخلايا الحساسة للضوء.. غي نفس الوقت عاد صوت النحيب من جديد يخترق أذناي هذه المرة وكأنه صوت استغاثة..جثوت على ركبتي وصعدت الدرج مرة أخرى ولكن ذلك المرة على أربع قدماي ويداي..وكلما اقتربت من الدور الثاني بدرجة سلم واحدة أشعر أن هناك شيء وصوت مزعج ورائحة كريهة خلفي وكلما نظرا خلفي لا أجد شئ ولكني ارجع درجة.. لاحظت ذلك فقررت إلا اهتم بمن خلفي واصعد الدرجات بسرعة.. كانت الدرجات زلقة تماما ولكني رغم ذلك استطعت أخيرا أن أصعد السلم وكان الصوت يقترب والبكاء شديد..وجدت نفسي أمام حجرة عليها من الخارج لافته مدير المعاشات..وقفت على الباب اتفقد ما ذلك النحيب وجدت نفس المخلوق الذي قابلته في الدور السفلى يجلس على مكتبه بكل كبر وتكبر، فاغر فاه وينزل من بين أسنانه لعاب باللون الأصفر وينظر إلى السيدة نظرة ذات مخذي.. أما السيدة التي ما زالت تنتحب كانت سيدة في مقتبل العمر وتحمل على يديها طفل صغير..وفهمت أن لها معاش لزوجها وهناك بعض المشاكل في إخراجه..حاولت الدخول إلى المكتب.. نظر إلى الموظف

المخلوق وبنظرة من عينه أخرج منها شعاع..اصطدم الشعاع بكل قوته في صدري ورجعت إلى الوراء واصطدمت في سور خشبي خلفي، فوجدتني في الدور السفلى أمام الشبابيك ملتصق بالأرض...نظرت إلى أعلى وجدت السيدة صاحبة المعاش تنزل من الدور الثاني وهي في منتهى السعادة ولكن كانت ملابسها غير مهندمة وتحاول لملمتها في توتر، ولكنها نظرت إلى نظرة لم أنساها ثم أزرفت دمعة دافئة فنزلت الدمعة على خد وليدها ثم خرجت من مكتب البريد عبر الحائط وأختفت.. هرولت مسرعاَ خلفها ولكني اصطدمت بالحائط ووقعت على الأرض.. بدأ الظلام ينقشع وتعودت عيناي على الرؤية..وجدت طابور طويل من الناس أمام موظف يشبه إلى حد كبير الثعلب الأخر ولكنه يلبس أيضا ملابس منمقة.. وكان الموظف خاص بتخليص الأوراق للمدارس والقروض وما شابه..ولاحظت أنه يأخذ الرشوة من الناس لتخليص اشغالهم.. فوقفت في الطابور خلف رجل مسن..كان الرجل ينتحب دون صوت ولما سألته ما بك يا عم.. قال إنه هنا منذ ثلاث أشهر وكل يومًا يقف في نفس الطابور ولأنه لم يدفع الرشوة المناسبة فإن الرجل كل مرة يطلب منه طلب تعجيزي..وعلى هذا الحال منذ ثلاث أشهر لم يصرف مستحقاته من البريد..ثم بكى الرجل المسن بكاءً شديد وعندما كنت أهم بمسح دموعه بمنديلي تركني الرجل وخرج من نفس المكان الذي خرجت منه السيدة منذ قليل..وهكذا كان المكان يعج بجمهور في بكاء ونحيب..وموظفين يشبهون الحيوانات في أشكالهم وتصرفاتهم.. تراجعت إلى الخلف ونظرت إلى مرآة كانت خلف ظهري ووجدتني فجأة أتحول إلى مخلوق جديد يشبه السيدة ويشبه الرجل في نفس الوقت ويشبه أشكال أخرى كلها مندمجة في شخص واحدًا وهو أنا.. وكنت أحمل في يدي اليمني زجاجة كبيرة مملؤة بالبنزين واليد الأخرى بها شعلة تشبه شعلة النار في الأفلام القديمة..وكل الموظفين واقفين خلفي منهم من يضرب بعصا على ظهري والآخر في أماكن أخرى..ولكني كنت أشعر بأنني أقوى منهم وبداخلي ألف مليون مظلوم ووقع الاختيار عليّ لأخلص الناس منهم.. وأضرمت النيران في المكان كله ، وتصاعدت السنة الدُّخَان هنا وهناك .. ثم خرجت من الحائط من حيث خرج الآخرين وتركتهم في صرخاتهم يتقلبون.. وخارج

مكتب البريد الملعون وقفت أتأمل أرواح الموظفين وهي تتصاعد واحدًا تلو الأخر إلى عِنان السماء.

الحكاية العاشرة:

نوستالجيا

دلَف إلَى البنايةالتي يَسْكُنْ فِيهَا وَهُوَ مُسْرِع فِي خُطَاهُ وبالكاد يُحَرِّك قَدَمَيْهِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ . . وَهُو يَحْلُم بِأَنْ يَأْخُذَ حَمَّام دافِئ كَمَا تَعُودُ كُلَّمَا رَجَعَ مِنْ الْخَارِجِ . . ودَقَّ جَرَسُ الْبَابِ لِأَنَّهُ نَسِيَ مَفَاتِيح الشُّقَّة فِي مَكَان عَمَلِه . . فَتِحَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ الَّتِي لَمْ تَكْتَرِث لتعبه وَبَدَأت فِي الصُّرَاخ فِي وَجْهِهِ، لِأَنَّ عَمّ عَبْدِه حَارِسٌ الْعَقَارِ لَمْ يُطِعْ كَلَامِهَا وَلَم يُجْلَب لَهَا مَا أَرَادَتْ مَنْ السوبر ماركت الْقَرِيبِ مِنْ مَنْزِلِهِمْ . . طلِبَ مِنْهَا أَنَّ يَأْخُذَ قِسْطًا مِنْ الرَّاحَةِ، ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَيّ حَارِسٌ الْعَقَار فَيَقُوم بتوبيخه كَمَا اعْتَاد عَبْدِه وَكَمَا اعْتَاد بَاقِي سُكَّان الْبِنَايَة الَّتِي يَسْكُنُ بِهَا فَقَدْ كَانَ مِيعَاد مُقَدَّسٌ للصريخ.

بَعْدَ أَنْ أَدَّى الْمُهِمَّةِ اليَوْمِيَّة صَعِدَ إلَى شُقَّتَه مَرَّةً أُخْرَى وراوده نَفْس الْحُلْم، بِأَنْ يَأخُذَ حَمَّام دافِئ وَيَجْلِس إِلَى ابْنَتِهِ لِيداعبها كَكُلّ لَيْلِهِ ،وَهِيَ الَّتِي أنجبها بَعْدَ طُولِ انْتِظَار عَشَرَةَ أَعْوَامٍ . . فَأَصْبَحَت مدللة فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ بالكاد تَمْشِي وتتعلم الْكَلَام . . جَلَس بِجَانِب ابْنَتَه حَتَّى غَالِبَة النُّعَاس . . فَنَام بجوارها . . دَخَلَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ وَجَدْته غارقا فِي أحلامه فَهَزّت رَأْسِهَا مبتسمة وَتَرَكَتْهم وأوصدت عَلَيْهِم الْحُجْرَة وَخَرَجَت.

آوت إلَى فِرَاشِهَا فصارعت النَّوْم بِضْع سَاعَات حَتَّى اسْتَطَاعَت النُّعَاس أخيراً . . غَيْرَ أَنَّهَا اسْتَيْقَظَتْ فِي الصَّبَاحِ عَلَى صَوْتِ زَوْجِهَا وَهُوَ يوصد الْبَاب بهدوء حَتَّى لَا يُوقِظ ابْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ الَّتِي هِيَ كُلُّ حَيَاتِه . .رَغَم خفَّة حَرَكَتِه دَاخِلُ الشُّقَّة إلَّا أَنَّهَا قَامَتِ مِنْ النَّوْمِ وَلَمْ تَسْتَطِعْ النَّوْم مَرَّةً أُخْرَى.

عَادَ مِنْ الْعَمَلِ منهكا كَكُلِّ يَوْم غَيْرَ أَنَّهُ لَمَح أمَام الْبِنَايَة الَّتِي يَسْكُنُ فِيهَا ضَجِيج وَجَمْعٍ مِنْ النَّاسِ وسيارتان إِطْفَاء حَرَائِق

وَعَرَبَة إسْعَافٌ . . تَوَجَّه مُسْرِعا إلَيّ بَوَّابَة الْعِمَارَةُ غَيْرَ عابِئ بِركْن سَيَّارَتِه بَل وَتَرَكَهَا فِي وَسَطِ الشَّارِع . . حَتَّى إنَّ مَنْ مَرَّ بِجِوَارِه مِن قَائِدِي السَّيَّارَات أَغْدَقَ عَلَيْهِ مِنْ الشَّتائِم مَا يَصُم بِهَا أُذَانِه . . وَهُو يُعَبَّر ضِفَّة الشَّارِعِ وَلَا يُكْتَرَثُ . . كَان الْمُهِمّ عِنْدَهُ أَنَّ يَعْرِفَ مَا يَدُور أمام الْبِنَايَة الَّتِي يَسْكُنُهَا . . وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ لَا يَكُونُ مَسَّ ابْنَتَه وَلَا زَوْجَتِه أَيْ مَكْرُوهٌ . . لَكِنَّه عِنْدَمَا وَصَلَ إلَى مَكَان الْحَدَث . . . .

لَمْ يَجِدْ أَيْ شَيّ وَكَانَّ الْمَكَانُ هَادِي تَمَام. تكاد تُسْمَع حَفِيف وَرَق الْأَشْجَار وَهِيَ تَسْقُطُ عَلَى الْأَرْض، مُحْدَثَة صَوْت رَقِيقٌ يَلْتَفّ حَوْل أُذُنَيْه . . لَكِنَّه سُرْعَانَ مَا صَرَخَ عَلَى حَارِسٌ الْعَقَار . . عَبْدِه أَنْتَ يَا عَبْدِه . . لِتَخْرُج لَهُ زَوْجٌ حَارِسٌ الْعَقَارَ مِنْ حُجْرَتِهَا وَهِي متدثرة ببطانية ثَقِيلَة، تكاد تَجْر قَدَمِهَا مِنْ أَثَرِ حَادِثٌ قَدِيمٌ : عِنْدَمَا شَبَّت النِّيرَانَ فِي الْبِنَايَةِ مُنْذُ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ مضت، صَرَخ مَرَّةً أُخْرَى . . أَيْن عَبْدِه أَهُو نَائِمٌ وَتَرَك مَكَان عَمَلِه كَعَادَتِه ؟ وَكَانَتِ الْمُفَاجَأة عِنْدَمَا ردَّتْ عَلَيْهِ زَوَّجَ عَبْدِهِ . . . بِأَنَّ عَبْدَهُ قَدْ مَاتَ أَثْنَاء إِخْمَادِ النِّيرانِ فِي شقتك مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ . . وَإِن زَوَّجْتُك وَابْنَتُك قَد.....ماااا

عَاجِلِهَا بِسُرْعَة قَبْلَ أَنْ تَنْطِقَ وَقَالَ لَهَا أَرْجُوك لَا تُكمْلي . . وَانْطَلَق يَعْدُو الدَّرَج صعوداً إلى شقته وَقَلْبُهُ يَكَاد يَنْخَلِع مِنْ مَكَانِهَ.

كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنُه فَهُو مُنْذُ خَمْسَةَ أعوام عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مُنْذُ حَادِثَةِ وَفَاة ابْنَتَه وَزَوْجَتِه، يَفْعَل نَفْس الْأَفْعَال وَيَسْأَل زَوْجَ حَارِسٌ الْعَقَار نَفْس الْأَسْئِلَة . . غَيْرِ أَنْ مَنْ الْغَرِيبِ أَنَّ زَوْجَةَ حَارِسٌ الْعَقَار تَصْعَد كُلَّ لَيْلَةٍ لِتَبْحَث عَنْ زَوْجِهَا وَتُسْأَل عَنْ زَوْجِهَا . . وَتَرْتَقِي دَرَجَات السُلَم صُعُودًا وَهُبُوطًا بَحْثًا عَنْه ! !

الحكاية الحادية عشر:

كرسي متحرك

يجلس أمام رسمته الجديدة يراقبها عن قُرب ويضع بفرشاته اللمسة الأخيرة ثم يمرر اصبعه الخنصر بروية واهتمام للرتوش الأخيرة، يرجع إلى الوراء بكرسيه المتحرك منبهرًا بلوحته الجديدة.. التي راح يرمقها من كل جانب بدهشة وشدة إعجاب.. ثم يعطيها رَقَم ويضعها بجانب لوحات أخرى تتراص على التوالي فوق منضدة أنيقة.

يرجع إلى الوراء لمجال رؤية أوسع ليرى تحفته الفنية الجديدة. كانت لوحة لخفير قد رسمها بإتقان شديد، إذا شاهدها أحدا عجبته لتفاصيلها المتقنة. فجأة سمع من خلفه صوت نسائي هو يعرفه جيدا، ويضع كفه بلمسته الحنون على كتفه.

_ ها ماذا ستسميها؟

= عبير؟ ما رأيك انتِ؟

_ أمممممم، عويس ما رأيك؟ أطال النظر إلى اللوحة وتحسس شارب عويس جيدا وبدون أن ينظر إلى عبير، راح يمسد شعره بيديه ، وأطال التفكير.

= مناسب.. مناسب جدا لم أفكر في اسم أفضل من هذا.. _ إذاَ هيا بنا يا عزيزي. دفعته عبير من الخلف إلى التراس، بعد أن كانت قد جهزت مسبقًا منضدة حافلة وتتوسطها شمعة على إضاءة خافته وأجواء شاعرية..وكانت المفاجأة ترتيب ميعاد لأول مَعْرِض له بعد أن أتمت حجز قاعة وأردفت تقول..

_ سيأتي عمال غدا لاستلام اللوحات فكن مستعدًا.

لثم داخل كفها بقبلة حانية وابتسم فمسدت خصلات شعره بيديها وانتهى العشاء.

وفي حجرة مكتبه يقف محقق وقد امسك بآخر رسمة ووجه له السؤال.

_ أتعرف صاحب الصورة.

= نعم اعرفه إنه عويس

_ لكن ليس هذا اسمه = لا اسمه عويس فأنا من أطلقت عليه هذا الاسم

_ اذاَ أنت معترف إنك تعرفه

= أنا لم انكر ولكن ماذا جرى؟

_ وجد عبد الجبار مقتولًا صباح أمسِ بساقية البلد أقصد من تدعوه عويس.

= لكن أنا لا أعرفه

_ ألم تقل منذ قليل انك تعرفه؟

= نعم قلت هذا لأني رسمته من خيالي فهو مجرد لوحة فنية لها رَقَم واسم.

_ تمام أرجو منك عدم مغادرة البلاد حتى انتهاء التحقيق ونظرا لحالتك الصحية فلن أرد أن احتجزك عندي في القسم.. فلا تغادر البلاد

= لكن يا سيدي كنت مسافرًا فعلًا لإجراء بعض الفحوص على قدمي هذه الأيام.

- أرجو منك تأجيلها حتى يمكننا معرفة القاتل أو ظهور أدلة أخرى لا تدينك أنت.

مرت أيام قليلة وها هي جريمة أخرى لرجل آخر وجد مقتولًا أسفل البناية التي يقطن فيها وجاء تقرير الطب الشرعي إنه تحطم بالرأس وكسور في العظام نتيجة أن أحدهم قد دفعه من الطابق السابع.

وها هو نفس المحقق يقف أمامه مرة أخرى لكن كان مضطرًا إلى أخذه للتحقيق معه في حجرة التحقيق.

_ أستاذ مازن أتعرف هذا الرجل؟

= نعم أعرفه جيداَ يدعي الأستاذ عوني.

_ عوني؟ ليس هذا اسمه ولكن اسمه الحقيقي عماد التوني.

= لكن عندما رسمته أطلقت عليه هذا الاسم

_ رسمته؟ هل ستعود إلى نفس النَّغْمَة؟

= ولكن هل لي أن أعرف ما الموضوع؟

_ أبداَ وجد الأستاذ عماد مقتولًا أسفل بنايته ألا تعرف؟

= وكيف لي أن أعرف أنا شخص عاجز كما ترى وغير مطلع على أحوال البلدة.

_ وكيف تفسر لي وجود لوحة تشبه إلى حد بعيد عبد الجبار القتيل الأول وعماد التوني القتيل الثاني وما هو ارتباطك بهم؟

= حقيقةَ لا أعرف!

تمكن المحقق من جمع باقي اللوحات وكان عددها ثلاث لوحات أخرى لأشخاص كان قد رسمهم مازن ، ثم قام بعمل بحث عنهم، وتعيين حراسة خاصة لصيقة طوال الوقت خوفا عليهم من القتل، والتحقق بمدى معرفتهم بالقاتل المشتبه به.

ومن التحقيق تبين أن الخمسة اشتركوا منذ زمن في خيانة ونهب أموال وتقسيمها فيمَا بينهم.

وفي إحدى المصحات النفسية يقف الدكتور مع المحقق على مقربة من القاتل ومعهم عبير خطيبة مازن.. يكمل الدكتور حديثه.

_ نعم كانت خيانة ونهبوا أمواله وشاهد الجريمة بعينيه وهو صغير..ولكن في الحقيقة ليس مازن ولكن صديق عمره سامي، هو من حدث له كل هذه الأحداث.

ظهرت على المحقق اندهاشه وقبل أن يسأل.. أكملت عبير وقالت

_ كان سامي صديق مازن المقرب وقتل بسبب هذه الخيانة. بتر الدكتور كلامها وقال.

_ ولأنه صديقه المقرب جدا فقد حدث له نوع من مرض يسمى بالفصام الذهني أو شيزوفرينيا. هز المحقق رأسه وقال بعد أن أشعل سيجارته ونفث دخانها في الهواء.

_ وعليه فإن مازن قد انتحل أو أصبح هو سامي بغية الانتقام لصديقه الحميم، ولكن ما موضوع جلوسه على كرسي متحرك؟ أكان سامي مشلول؟ قال الدكتور

_ نعم كان سامي مشلول ويجلس على كرسي متحرك..يا له من مسكين.

هنا ودعهم المحقق بعد أن اشفق على حالة مازن وأقفلت القضية على هذا، بعد أن أودع مازن في المصحة النفسية. وجاري فتح ملف قضية سامي مع المتهمين الثلاثة الباقين على قيد الحياة.

(الفصام الذهني أو شيزوفرينيا)

هو مرض اضطرابات سلوكية إلى جانب أعراض مرض الذهان الذي يفقد فيه المريض اتصاله بالواقع ويبدو العالم له وكأنه خليط من الأفكار والصور والأصوات المربكة؛ ينتج هذا تغيرًا مفاجئًا ومروعًا في السلوك يسمى "نوبة ذهانية..وممكن أن يؤدي إلى القتل دون أن يشعر المريض نفسه.

الحكاية الثانية عشر:

الاختبار

يذهب طاهر مع زوجته المستقبلية وحماه إلى طبيب أمراض نفسية وعصبية، لإجراء الفحص الجديد الذي هو من شروط الزواج الحديث والكل يعرف إلا طاهر، فهمته خطيبته إن خالها الدكتور يريد أن يتحدث معه لأن الموافقة بيده، فهو كبير العائلة والكل يأخذ برأيه من الكبير إلى الصغير.

يدخل طاهر بمفرده إلى الدكتور وكان من عادته أن يعض كل دقيقة على أصبعه السبابة..

= مساء الخير يا دكتور

= ممكن تفرد جسمك على الشوزلونج وتشيل صباعك من بقك؟ الحالة دي عندك من زمان؟

= حالة إيه مش فاهم أنا ما عنديش حالة أنا جاي أعزم حضرتك على فرحي أنا ومنال بس..

= مفهوم مفهوم، ما هو لازم ندردش شوية يا حسام.

* انتفض طاهر نصف انتفاضة وقال بصوت عالي لو سمحت يا دكتور ما بحبش حد يغلط في اسمي أنا اسمي طاهر.

= معلش يا سي طاهر امسحها فيا المرة دي.. لكن قولي انت متعود تجز على أسنانك كده لما بتتكلم؟

= لأ لما بكون متنرفز بس.

= يعني بتحس بأيه لما بتعض صوابعك وتجز على أسنانك؟ ها قولي.

= بحس إني عايز أفرتك اللي قدامي وإن اللي بيسألني أسئلة كتير ممكن أعضه..

= تعضه؟ .. بس أسمع بس هقوللل

= يادكتور أنا بس جايلك علشان أعزمك على الفرح إيه لزمته الأسئلة الكتير دي؟

= طبعاَ طبعاَ.. ألف مبروك، هو أنت ممكن تعزمني على العشا عندك الأول قبل الفرح يعني والا انت بخيل؟

= العشا؟ .. أه طبعاَ ممكن حضرتك تشرفني بكرة.. ممكن استأذن؟

= أه طبعاَ أتفضل يا حُس.. قصدي يا طاهر.

في المساء كان الدكتور عبيد يجلس مع أم طاهر قبل أن تجهز لهم العشاء، وكان طاهر منشغل في حجرته بالبحث عن شيء مفقود..

= قول لي يا حاجة هو طاهر كان بيعض وهو صغير؟

= هو طاهر ساب حاجة وما عضهاش ده كان مبهدلني.. ومبهدل عيال الشارع وكل ساعة والتانية مشاكل بسبب العض ده..

= أه فوبيا الانتقام وعقدة أوديب.

= قصدك المذيع فهد حبيب؟ أهو الراجل ده كل ما يظهر على الشاشة تلاقي طاهر يعض صوابعه.. وأقوله طب أقلب التلفزيون يقولي لأ عايز أسمع بيقول إيه لحد ما صوابعه تبوش من العض عليها.

بعد أن فرغ الدكتور عبيد من الطعام وأثنى على طبيخ الوالدة سأله طاهر متلهفًا

= ها يا دكتور لازم تحضر الفرح بقى علشان ده شرط من شروط منال.. أنا لو كان عليا‌ا ما كنتششششش

= ما كنتش إيه ؟

= ولا حاجة يا دكتور، طاهر ما يقصدش حاجة هو كده بيحب الهزار حتى شوف بيعض صُباعه إزاي؟

خرج الدكتور عبيد بعد أن قال إن الزواج نفسه لابد له من وقت واني لابد أن أحضر عنده جلسة أو جلستان وعندما اعترضت وقلت له انني لست مريض قال لي عارف عارف بس دي رغبة منال يا سيدي هنعمل إيه بقى.

تركني الدكتور عبيد وأنا أعض بشراهة في طرف وسادة كنت أحملها وأنا أتحدث إليه ..أجفلت ودخلت حجرتي وأغلقت الباب خلفي بشدة.

وفي اليوم التالي كنت أجلس في عيادة الدكتور عبيد ولكن الوضع اختلف هذه المرة فكان يجلس مجموعة من الشباب بجانب بعضهم مشكلين وكأنهم مربع ينقصه أحد أضلاعه وكل منهم ينظر في اتجاه بشرود وكأنهم منومين مغناطيسيًا.

جذب طاهر كرسي وجلس بجانب صلاح.. الذي تحرك وافسح مكان لطاهر وتجاذب معه اطراف الحديث..

= أهلا وسهلا ممكن تقولي إنت اسمك إيه؟

_ طاهر اسمي طاهر عبد السلام وإنت ؟

= صلاح، شغال مهندس إلكترونيات

_ بتتابع مع الدكتور من زمان يا باشمهندس

= أه من شهر كده والحقيقة حاسس بتحسن كبير أوي يا أستاذ حسام.

وضع طاهر أصبعه في فمه واطبق عليه وتحدث بحنق وبصوت عالي جَهْوَري.

_ طاهر مش حسام لو سمحت.. اسمي طاهر

= تمام أنا آسف، خلاص طاهر اللي يعجبك.. لكن إيه اللي انت بتحس بيه.. قصدي مرضك إيه يعني؟

= أنا مش مريض الدكتور قريب خطيبتي وبعمل شوية فحوصات كده وبعدها نحدد يوم الفرح

_ مفهوم مفهوم وألف مبروك مقدمًا يا حوس قصدي يا أستاذ طاهر.

جلس طاهر مع صلاح قرابة الساعة وفي حجرة الدكتور عبيد كان يطالعهم عن طريق الكاميرات التي كان يزرعها في حجرة الانتظار واستطاع قرابة الساعة أن يسجل كل همسات الشباب الموجود بالخارج، وعليه كتب تقرير عن حالتهم جميعاَ..

ثم مرر اصابعه على شاشة هاتفه المحمول وطلب رَقَم منال وأردف قائلًا.

= شوفي يا ستي بعد البحث والفحص والدراسة المتأنية جداَ وزيارتي لبيت طاهر وموضوع العقد النفسية اللي عنده ده، أقدر أقولك إن صلاح هو العريس المناسب ليكي من ضمن العرسان الموجودة في العيادة دلوقتي.. ها رأيك إيه يا حبيبي أونكل ؟

_ هو في رأي بعد رأيك يا أونكل؟

الحكاية الثالثة عشر :

العاق

من صغر سنه وهو عاق.. ده حتى بيعق القطة بتاعته.. عبارة قالتها أخت حامد في الهاتف لأختها ذات يوم..ومن يومها والتصقت التهمة بحامد الذي لم يعرف الإفلات منها منذ قيلت عليه. بيعق القطة بتاعته إزاي يعني؟ أبداَ يا ستي لما بتكون عايزة تشرب اللبن بيجيب لها اللبن بعد ربع ساعة كده.. يااه ده قلبه قاسي أوي حتى مع قطته؟ خرج حامد إلى الشارع ليجد شاب يسير بجوار أمه وترامى إلى سمعه أن الشاب ينهر أمه ويكاد يلعنها ويسبها باقزع الألفاظ لمجرد أنه عاطل ولا يريد حتى

إن يعمل، ويريد أن يأخذ النقود من أمه بالقوة، القوة التي أدت إلى سحلها على الرصيف، بينما بعض المارة لا يبالون بما يحدث أمامهم.. أو بالأحرى ذهب البعض منهم لتصوير الحدث على جهاز المحمول لالتقاط الصور طمعاَ في حصد اللايكات والتريند على السوشيال ميديا التي لا تجدي نفعا في نظري.. آفة العصر.
عندما هم الشاب لسحل أمه وجد يد حامد تمتد إليه ويلوي ذراعه خلف ظهره بعنف ووضع يده على ياقته وكان مصراَ أَن يأخذه إلى أقرب قسم شرطة، هذا وغير الكلام الذي قاله له عن بر الوالدين وطاعتهم وليس التعدي بالضرب عليهم.. ولا تنسوا يا سادة أن حامد في نظر أخواته ولد عاق..المهم لم يسلم الشاب من عقاب حامد.. ولم ينقذه من يديه إلا بعض المارة يقولون لحامد عبارات انت ستصلح الكون أتركه لحاله.. آخر مرة.. أنواع كثيرة من كلام مجتمعنا السلبي الجديد.. آفة عصرنا السلبية.. لم يتركه حامد إلا أمام الضابط في قسم الشرطة..ولم يذهب حامد في هذا اليوم إلى عمله وتعطلت أحواله لإن الضابط أصر على أخذ أقواله تقريبًا بعد منتصف الليل.. فمَا كان من الضابط إلا أن أخلي سبيل الأثنين معا.. فلا يوجد نص قانوني صريح أمامه يمنع ضرب الابن لأمه ويندرج تحت كلمة حالة إنسانية..آفة مجتمعنا القانون.. في منزل أم حامد تجتمع الأختان.. أخوات
حامد..المنزل الذي تسكن فيها أمهما وهي مريضة مقعدة وكانت كل واحدة منهم تحاول أن تبعدها عنها وتتنصل من الجلوس معها بحجة إن عندها انشغالات وأطفال وزوج وحياة لا تستوعب وجود الأم معهم في منزل واحد.. بل وقد اتفقتا على إيداعها نزل مسنين.. رن هاتف حامد وكان خارجًا لتوه من قسم الشرطة وكانت أخته تبلغه أنهم اتفقتا على إيداع أمه نزل المسنين وهذا للمعرفة فقط.. غير أن حامد العاق في نظر المجتمع.. بكى بكاء شديدًا وقفل هاتفه وأخذ يجري مهرولًا في الشارع حتى بلغ منزل أمه.. وأخذها معه إلى منزله لرعايتها هو وزوجته في وَسَط ذهول أخواته..ولسان حالهم يقول لم يبق إلا هذا العاق ليرعى
أمنا ..والغريب أنهم يتأثرون بمنظر قطة تأخر عليها الطعام مدة ربع ساعة ويتركون أمهم في نزل المسنين..آفة مجتمعنا ازدواج المعايير..أما الآفة الكبرى حين تخرج عليك إشاعة من مكان ما ثم يصدقها الناس عنك وتكون أنت عكس ذلك ومهما حاولت

نفيها لا تنف عنك..فحامد سيظل عاق في نظر المجتمع مهما حدث...آفة المجتمع الإشاعات..

الحكاية الرابعة عشر:

بنت الأناضولي

زبيدة هانم الأناضولي هي التي تقف بجوارها الأن ولك أن تعرف أنها سيدة مجتمعية متعجرفة دائمة الحديث عن البلد التي أتى منها أجدادها وكأنها من طينة غير طينة البشر والله أعلم ماذا كان يعمل جدها في الماضي..

لكن مالي أنا والسيدة أناضول.. أنا أسألك عن الفتاة التي تقف بجوارها.

كان هذا حديث الدكتور مجدى الصائغ عندما كان يهمس في أذن صديقه سالم السالم، عندما كانا في حفلة في منزل الدكتور سعيد أستاذ علم النفس وهو أبو صديق لهم دعاهم الي الحفلة لملئ وقت فراغهم فقط..

قال سالم يا أخي ألم تفهم حتى الأن.. السيدة زبيدة هي من تمسك بلجام إبنتها الصغرى مُنى ولا تتحرك من جوارها ولا يحدث شئ في حياتها إلا بأمر تلك السيده..ها الأن فهمت؟

أه نعم نعم فهمت كل شئ..

فهمت إنك تأمر النادل أن يقول للسيدة أناضول أن شخص ما ينتظرها في نهاية الحديقة؟

ذهب سالم إلى النادل بالفعل..ووجدت السيدة زبيدة تخرج مسرعة إلى نهاية الحديقة، وأنا في تلك اللحظة الفارقة والثواني الصغيرة إستطعت التقرب من مُنى ولم يأخذ الأمر مني التعب الكثير، فقد وجدت مُنى تعرفني وتعرف أشياء كثيرة عني..وفي هذه اللحظة أتت السيدة أناضول مسرعة ووقفت أمامي وقالت..

كيف تتجرأ وتتحدث مع حفيدة الأناضولي؟! فقلت لها مندهشاَ !

الأناضولي؟! قالت وقد أمسكت بذراع إبنتها إلا تعرف من هو الأناضولي؟! وبدأت تتحدث كأنها تقرأ من كتاب من منخارها بالأتي..

الأناضول أو آسيا الصغرى هي منطقة جغرافية وتاريخية قريبة من شرق أوروبا، حيث تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا. وهي محصورة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، وتشمل جل الأراضي التركية، عدا القسم الشرقي المعروف تاريخياً باسم هضبة أرمينيا.. حيث تقدر مساحة الأناضول بحوالي خمسمائة ألف كيلو متر مربع ويحيط بها كل من بحر إيجة ومرمرة، والبحر الأسود شمالاً...واا..

فقلت لها بعد أن إبتعدت عنها.. كفى يا سيدتي الأناضولية إني أسف، وقد قلتها بطريقة كوميدية وشعرت إنها تشتاط غيظاَ لأنها لم تتعود على أن ينهي الحوار إلا هي، وهي فقط.

كانت السيدة زبيدة منذ نعومة أظفارها تتخيل نفسها رجلاَ وقد كانت تضرب أخاها الأكبر منها وترتدي قمصانه لتشعر بالسيطرة على كل من حولها.. ولم تكتفي بضرب أخاها فقط بل راحت تضرب كل أقرانه من الصبية حتى عندما كانت تذهب إلى اللعب في النادي كان كل الأطفال يتركوا لها مكان الألعاب لتنعم به وحدها..ويتذكر أخاها الأكبر سيادة السفير علوي، بل إنها كانت تنزل حمام السباحة وحدها.. إلا إنها عكفت عن هذه الفعلة عندما جاء لها شد عضلي وكادت أن تغرق في الماء.. بعدها تركت الحمام للأطفال لينعموا به..

ولا أخفي عليكم فأنا أخذت مُنى من بين يديها وتزوجتها.. نعم كما قرأتم تزوجتها من بين براثن هذه السيدة الصعبة المستبدة حتى إنها تقول أنني تزوجت أبنتها وهي كانت مخدرة أو أين كان عقلها..ولا أخفي عليكم أيضا إنها لم تقنع بي حتى الآن لأكون زوجاَ لإبنتها.. ولا أعرف السبب..فأنا دكتور وأبي سفير وعندي عيادتي الخاصة وفيلا أسكن فيها مع زوجتي مُنى..أه نسيت أن أقول لكم إن السيدة أناضول أخذت مكان بحديقتي وخصصته لعمل ستديو لتأليف الموسيقى.. فهي تعتقد إنها تضاهي بيتهوفن وعمر خيرت في التأليف الموسيقى وأحياناَ كثيرة تُعدل على

موسيقاهم وتقول لي هذا المقطع يحتاج إلى مازورة أجمل من هذا..يمكنك أن تسمع هذا المقطع بطريقتي...ولا أخفي عليكم فعندما تبدأ في العزف يهرب القط المسكين من أسفل قدمي وكذلك الكلب يهز رأسه ويهرب هو الآخر..

في يوم من الأيام الكئيبة على سالم السالم صديقي المقرب الذي تزوج من مشيرة أخت زوجتي الكبرى بعد معاناة مع زبيدة هانم لأنها أصرت أن يغير إسمه وكان هذا شرط زواجه من مشيرة..ولأنه كان يحب مشيرة التي تختلف مائة وثمانون درجة عن أمها فقد وافق اخيراَ على تغيير الاسم من سالم السالم إلى سالم مراد..فقد إختارته زبيدة هانم لأن الإسم فيه شمخة تركية أناضولية.

ونعود مرة أخرى لليوم الكئيب على سالم.. لأنه كان يقف بجوار مشيرة ذات يوم وكان يسمع على هاتف زوجته لحن مسجل عليه مقطوعة من مقطوعات الهانم وقد أبدى رأيه في الموسيقى بطريقة لم تعجب بها مشيرة.. فقد وصف اللحن بأنه يذكره بالطرق على الأواني ولا أعرف كيف تطور الأمر بينهما إلى مشادة كلامية وصلت إلى مسامع زبيدة هانم التي أخذت إبنتها مشيرة من يدها واجبرتها على ترك المنزل انتصاراَ لموهبتها الفذة التي عاب بها سالم ولأنها علمت أيضاَ من بعض أصدقاء سالم إنه مازال يحتفظ بإسمه سالم السالم بينهم.. إنما كلمة مراد هي مجرد اسم لا يعترف به سالم إلا أمام زبيدة هانم ليرضيها فقط..الشئ الذي دفع الأناضولي إنها ترفع عليه قضية طلاق..

وانتهى الأمر أن جاء سالم وزوجته مشيرة يرجواني للتدخل لحل الموضوع نظراَ لقربي من الهانم.. فأنا الوحيد الذي لي كلمة عندها أو هم متخيلون هذا..فقلت لسالم جملة واحدة (بالتأكيد لا تقلق)...لكن اتركني أمهد لها الموضوع فأنت تعرف إنه ليس موضوع بالسهل لأنك طعنتها في موهبتها!!

صحوت ذات يوم على رنين هاتفي المحمول وكان المتصل خال زوجتي سعادة السفير سليم الأناضولي الذي سألني عن نتيجة المفاوضات مع زبيدة هانم.. لأنه حاول معها أكثر من مرة لكن

كل المحاولات باءت بالفشل وكانت كل العائلة تتوسم في حل للمشكلة...

وبالطبع جاريته في الحديث وقلت له بالتأكيد لا تقلق..

إجتمعت في ذلك الصباح مع زبيدة هانم بحجرتها التي أخذتها داخل الفيلا وكانت منهمكة بلحن جديد وجلست معها قرابة الساعتين وكان بإنتظار بالحديقة تحت البرجولة سالم ومشيرة ومعهم سيادة السفير سليم وهم في شغف عن المباحثات التي حدثت بيني وبينها قرابة الساعتين فخرجت وقلت لهم بالتأكيد لا تقلقوا..وهم لا يعرفون أن قرابة الساعتين كنت أتحدث معها في أمور بعيييدة جداً عن موضوع سالم وقضية الطلاق هذه، كنا نتحدث عن موهبتها الفذة في تأليف اللحن الجديد ومواطن الجمال الموسيقى...

لكن عندما إشتد علىّ السؤال عن نتائج المباحثات جأت لي فكرة ربما تنفع معها.. فدخلت إليها وهي في لحظة صفاء وقلت لها.. لما لا نعطي سالم الحبل الذي يلفه حول عنقه ويشنق به نفسه؟

فقالت بنبرة سعيدة وكيف هذا؟ قلت لها أنتِ تعرفين أن قضية الطلاق لا جدوى منها...لأن سبب الطلاق لم يقتنع به أي قاضي مبتدئ حتى..قالت وقد خفض صوتها وبصوت مهزوم.. وما العمل وما حكاية الحبل تلك التي قلتها أنت منذ قليل؟ ..قلت الحبل؟ أه نعم أنا أقصد أن نترك سالم يعود إلى مشيرة وعندما يغضب مرة أخرى منها ويحتد الخلاف ننتظر أن يضربها ويحدث بها عاهة مستديمة في جسدها ونصور هذه الكدمات ونرفقها بأوراق المحكمة وفي هذه الحالة اا.. قاطعتني بصوت المنتصر الفرح.. وفي هذه الحالة الطلاق مضمون من هذا الجرو الفاقد للإحساس المرهف لموسيقى الأناضولي؟ قالت الجملة وكانت ترفع يدها ومنخارها إلى أعلى..

إنتهينا من هذه المشكلة وعاد سالم إلى مشيرة وقد وشيت لهم بالإتفاق الذي بيني وبين زبيدة هانم وعلى قدر المستطاع يجعلوا خلافاتهم بعيداً عنها.. ولا أخفي عليكم فهذه الفعلة الأخيرة جعلت مني أمام العائلة المسيطر الوحيد الذي إستطاع ترويض بنت الأناضولي باشا والكل نظر لي بعين الحاسد وإنهالت الطلبات

من بعدها من سيادة السفير وعم سراج سائق سيارتها العتيقة موديل سنة ستين كان يرجعوني أن لا توبخه وأن تتركه يسمع ما يشاء من الموسيقى والأغاني دون شتائم...

وذات يوم كانت زبيدة هانم الأناضولي ولا أعرف ما الذي دفعها للجلوس على مكتبي، وكنت قد اعتدت أن أكتب مذكراتي، ولحظي السئ نسيتها فوق المكتب.. فوقعت في يدها وقرأت الفقرة التي قلت فيها رأي بصراحة في ما تفعله من تشويه لموسيقى عمر خيرت وموزارت وغيرهم من الشامخين، وقلت رأي فيما تفعله في العائلة وأنها سيدة مستبدة رعناء وأن عزفها أقرب ما يكون إلى صوت الأواني ونعيق البوم ووووو...

حتى اليوم أنتظر سالم السالم صديقي وهو يتباحث معها في العدول عن قضية الطلاق الذي رفعتها ضدي.. وهو مازال يجلس معها كل يوم ويأتي ويقول لي (بالتأكيد لا تقلق)

الحكاية الخامسة عشر :

أفينجير (المنتقم)

لم يتمالك نفسه وكأنه يكاد يبكي عندما كان يودعني على أول الشارع، عندما كان يقف أمام الفيلا التي أسكنها، أخذ ينظر إلىّ بعيون ملؤها الشوق والمحبة. وكانت النَّظْرَة الأخيرة عندما انحنيت من زاوية الشارع إلى شارع أخر وتواريت عن ناظريه.
تريدون أن تعرفوا من الذي يحبني كل هذا الحب؟ إنه أفينجير(المنتقم) الكلب الجديد الذي أحضرته لنا زوجتي منذ عدة شهور، ولا أعرف لماذا أسمته بهذا الاسم فكانت تعتقد إنه سينتقم من أي لص سوف يأتي إلى الفيلا. كان من النوع الذي يسمى(الراعي الألماني).

زوجتي قالت هذا الاسم وأنا وافقتها لأني لا أفقه أي شيء عن أنواع الكلاب، ولا أطيق أن يلمسني أحدهم ولو من بعيد. لا أنسى عندما أحضرته وهو صغير للحراسة، لكنه عندما كان يسمع صوت كلب في الشارع كان يذهب بسرعة تحت أي منضدة ليختبئ من الخوف، ثم عندما يختفي الصوت كان يخرج منتشياَ كأنه منتصرًا.
أه نسيت أن أعرفكم بنفسي أنا الدكتور مازن حفظي، دكتور نساء وأمتلك عيادة خاصة بمكان ما في شارع تسعة بالمعادي،

سلوي زوجتي تعتقد أنني زير نساء ولا أخفي عليكم سراَ فأنا أعشق النساء ولكن لم أخن سلوى في يوم من الأيام. كانت تعتقد أنني أعرف تسع نساء عليها، وكنت إذ سألتها ولما العدد تسعة بالذات؟ تقول بصوت ملؤه الثقة.

علشان انت يا حبيبي فاتح عيادتك في شارع تسعة! بالله عليكم هل هذا تفكير سيدة متعلمة لتربط بين رَقَم الشارع وعدد السيدات التي أعرفهم.. فحمدت الله أن العيادة ليست في شارع التسعين بالمقطم أو مئة وخمسة بالمعادي مثلاَ.

منذ مجئ الأستاذ أفينجير إلى الفيلا لم يكن بيني وبينه ثمة أي مودة، ولم يحدث ألفة بيننا ولا أعرف لماذا، كان دائمًا ينظر إلى بطريقة غريبة كأني أنا اللص..وعندما ذهبت لأشتكي لسلوى..قالت لي إن أفينجير يشتكي منك نفس الشكوى..فقلت لها بصوت لا يكاد يسمعه أفينجير.. هو اشتكى لك مني؟ طب هو بيتكلم زينا يعني؟ فقالت وبدأ على وجهها الغرابة. أه طبعاَ مش هو مخلوق وله مشاعر زيك، هو صحيح ما اتكلمش لكن أنا بفهم لغته كويس. قلت لها بصوت حانق مختنق حتى لا يسمعني أفينجير ومما يشتكي البيه؟ فقالت..مش عاجبه نظراتك ليه اللي بتسبب له اكتئاب أول لما بتوصل البيت. فقلت وده معناه إني ما أجيش البيت أو أحاول ما اوريلوش وشي مثلاَ ؟ أنا ما قولتش كده خالص أنا بقترح إنك تتعلم لغته يمكن يكون دي المشكلة بينكم.

مر على هذا الحديث ثلاث أيام ووجدت على مكتبي بالفيلا كتب كثيرة عن اللغة الألمانية وهي اللغة الأم التي يعرفها سعادته، ومن غيرها لا تعرف التفاهم معه إذ يظن إنك تضطهده أو تكن له السؤ، وبعض الكتب أخرى في لغة الكلاب الذي اجهلها تمامًا مثل عندما يرفع أذنيه إلى أعلى ما معناها، أو عندما يهز ذيله عدة مرات أو عندما يرفع ذيله ويضعه في الهواء، أو عندما يرفع قدمه الخلفية وهذه هي الحركة الوحيدة التي كنت أعرفها عن معظم الكلاب..فهي لغة مشتركة عمومًا.

تعلمت بعض الكلمات التي يمكن بها أن أتعامل مع أفينجير مثل اجلس وأذهب بعيد عني. أصبح يحبني الآن أكثر من الماضي وكنت عندما أدخل إلى المنزل كان يتهلل فرحاً، ويأتي عند قدمي ويلعق في بنطالي وكنت أنهره باللغة الألمانية طبعاً، وأركله بقدمي في مؤخرته بعيدًا عني قبل أن تلاحظ سلوى هذا الفعل الذي تعتبره مشين.

في صباح يوم مشرق صحوت على صوت أفينجير وكنت أظن أنني أحلم إذ كان صوته يدخل في أحلامي ولكنني صحوت على مفاجأة مروعة هذه المرة، فقد كان يقف أمام خِزانة ملابسي، وأخذ يمزق في قمصاني البيضاء بعد أن مزقها رفع قدمه الخلفيه وهنا أدركت ما سوف يفعله لأنني أصبحت أعرف في لغة الكلاب الكثير، ومنها هذه الفعلة المشينة. فقد فعلها وتبول على قمصاني الممزقة.

نزلت مسرعًا من الدور الثاني حيث حجرة نومي إلى الدور الأول وكان أفينجير يجري أمامي ناكس أذنيه وبصوت جَهْوَري ناديت على سلوى، وكنت أمسك بإحدى قمصاني الممزقة ولكن دون بول وأخذت أصرخ في وجهها. ولكنها كانت معي هذه المرة ،وصرحت إني هذه المرة لم أظلمه وأن سلوكه يحتاج لتقويم.. ولذلك اقترحت علىّ أن تذهب به إلى الدكتور عيسوي..أو الدجال عيسوي فهي تقول عنه إنه دكتور نفسي للكلاب..ألقيت القميص من يدي وصعدت إلى حجرة نومي مرة أخرى لكي ارتدي ملابسي. ارتديت حُلتي في هذا اليوم بنصف قميص أو ما تبقى من القميص وقد داريته أسفل الحلة حتى لا يظهر للمرضى.

عندما دخلت عيادتي همت الممرضة أن تخلع عني حلتي وفي يدها البالطو الخاص بي، لكنني رفضت طبعاً لكي لا ترى مأساتي وقميصي الممزق، وتعللت وقتها أن الجو بارد وأنا أفضل أن ارتدي البالطو فوق ملابسي..تركتني غير مقتنعة بكلامي. رن هاتفي المحمول وكانت على الطرف الثاني مدام(لي لي) كانت(لي لي) أخر بطلات غرامياتي التي لا تعرف زوجتي عنها

شئ ،وضربت موعد معها الليلة حيث إن سلوى مشغولة عند المشعوذ عيسوي لمعالجة الكلب.

توقفت بسيارتي أمام إحدى المحال لأبتاع قميصًا جديدًا وذهبت مسرعًا إلى المنزل لأخذ حمامًا سريع لألوذ أخيرًا بميعاد كنت أنتظره منذ عدة أسابيع، لكني وجدت سلوى في حديقة الفيلا ومعها أفينجير، وسألتها بدهاء لماذا لم تذهب إلى البروفسير عيسوي لمعالجة الكلب في ميعادها الساعة التاسعة كما حدد لها عيسوي، فقالت إن عيسوي جاء بنفسه اليوم لأنه كان عنده ميعاد اليوم بالقرب من الفيلا، ومر علينا وعقد جِلسة نفسية مع الكلب، وتحدث معه كثيرًا وكانت كل الجِلسة عنك وكيفية التعامل معك والتأدب في سلوكه معك. بالفعل وجدت أفينجير رقيق المشاعر معي ومرهف الحس..أخذ يلعق بحذائي ويدور حولي كأنه يعتذر لي عن ما بدر منه من فعل مشين هذا الصباح فقبلت اعتذاره.

وفي الثامنة ارتديت ملابسي كاملة وتحججت أن عندي مؤتمرًا طبياً. خرجت من الفيلا على عجالة وتبعني أفينجير عند الباب وهنا نأتي الي أول القصة عندما قلت. (لم يتمالك نفسه وكأنه يكاد يبكي عندما كان يودعني على أول الشارع.. عندما كان يقف أمام الفيلا التي أسكنها، أخذ ينظر إليّ بعيون ملؤها الشوق والمحبة.. وكانت النَّظْرَة الأخيرة عندما انحنيت من زاوية الشارع إلى شارع آخر وتواريت عن ناظريه دقائق معدودة وسمعت طرقات على باب فيلا مدام(لي لي) الداخلي، فقمت وفتحت الباب وكنت ارتدي الروب وأمسك بيدي قدح من نبيذ، وصوت (لي لي) يأتي من الداخل يقول من بالباب يا مازن؟ يمكنك أن تفتح فأنا مشغولة. لم يكن يقف عند الباب غير أفينجير ومعه سلوى زوجتي وخلفهم عيسوي بابتسامته البلهاء التي أمقتها.

سقط الدكتور مازن على الأرض وقد فارق الحياة وكان التقرير الطبي بعد تشريحه.. مات بالسكتة القلبية نتيجة الخوف الشديد.. أما الدكتور عيسوي فقد أخذ مكانه في قلب زوجته

سلوى، وعاش معها في فيلته فهي وريثته الوحيدة. ثم أخذ مكانه في عيادته ورفع اللافته التي تخصه، ووضع مكانها الدكتور عيسوي المعالج الروحاني.

أما صديقنا المنتقم أو أفينجير كما يحلو لسلوى أن تصفه، فقد تخلص منه عيسوي في حادث سير ودفن رفاته في فيلا مازن في شارع تسعة، حتى يتسنى لسلوى زيارته كلما اشتاقت لرؤياه.

الحكاية السادسة عشر :

الرسالة

تعودت زوجته أن ترسل له رسالة كل يوم..إلا إن هذه المرة كانت الرسالة مفادها.. أحضر حالاَ..بدون أية تفاصيل..لملم حاجاياته في عجالةَ وخرج من البناية التي فيها موقع عمله وركب سيارته مسرعا إلى المنزل..كانت الساعة تقارب العاشرة مساءً..إنحني بسيارته قاصداَ شارعه إلا أن الشارع كان يغط في ظلام عميق بسبب إنقطاع التيار الكهربائي كالعادة..أخذ يتحسس مدخل العمارة التي يقطن بها التي كانت غارقة في الظلام.. وهو بالكاد يرى بريق مفتاح الباب الذي أخرجه من جيبه بصعوبة بالغة..إذ أن يداه اليمني مكسورة من أثر حادث مروري أثناء قيادة سيارته.. عندما مر قط أسود أمام السيارة فجأة..نسيت أقول أن بطل قصتنا من المتشائمين والمصدقين أن كل القطط السوداء هي عبارة عن جان هارب من الجحيم جاء إلى الأرض ليؤذي البني آدم مع إنه لو فكر قليلاَ أن القط إذا كان جان ما الذي يدعوه الي الأكل من القمامة والتعرض للضرب من الأطفال كل يوم..

أخرج مفتاح البوابة الخارجية بصعوبة على ضوء القمر.. إلا إنه وجد يد تفتح له الباب..فشكرها ودخل معها الي مدخل العمارة واخرج هاتفه المحمول وأصاء الكشاف الخاص به.. فرأي ملامح سيدة عجوز..ذات وجه مستدير وعينان تلمعان لهما بريق ومنخار مدبب ترتدي جلباب داكن اللون يكاد يرى رأسها فقط من شدة الظلام.. ودار بينهم الحديث..أنا متشكر جداَ على مساعدتك.. النور النهارده..

النور النهارده قاطع معلش يابني إنت طالع الدور الكام؟

أنا طالع الخامس.

وحضرتك؟

انا ساكنة في الخامس من ميت سنة تقريبا كده..

ساكنة في الخامس إزاي؟ .. وبعدين أنا أول مرة أشوفك هنا.. أنا هنا من أكتر من عشرين سنة أيام ما كانت الشقة بتاعة العيلة..ثم تعالي هنا العمارة على شقة واحدة يبقى أنت ساكنة في نفس الشقة؟

فجأة يعود التيار الكهربي أثناء حديثة مع السيدة المسنة.. وقد اختفت فجأة كما ظهرت فجأة..

إيه في إيه ؟ انا باين عليا تعبان من الشغل وكنت بكلم نفسي ولا كان في ست عجوزة ولا حاجة مش يمكن من تأثير الحادثة؟ .. او يمكن الست دي جنية وألا قطة سوده..؟ ياليلة سووودة..!

وجد المصعد مفتوح فدخل مسرعا وقبل أن يطلب الدور الخامس سمع صوت يقول له حضرتك طالع الدور الخامس معايا؟

يلتفت فجأة أثر المتحدث وقد تسمر من الخوف.

أيوه طالع الدور الخامس.. بس مين حضرتك أصلا؟

إيه ده إنت مش عارفني؟

لا الصراحة مين..صاحبة مراتي؟ وجايه تزورينا الساعة حداشر بالليل مثلا.. والا قريبتي من زمان وانا مش عارف؟ والا والا

طب بس بس أنا سميرة.. قصدي طنط سميرة بنت عمة أبوك اللي عايشة في الهند من يجي عشرين سنة كده.

توقف المصعد بالدور الخامس إلا إنه كانت هناك أصوات موسيقى صادرة من شقته والباب مفتوحا على مصراعيه.. دخل إلى شقته مسرعا وجد عدد من الناس كبير وكأنه عيد ميلاد أحدهم.. ودخلت طنط سميرة تسلم على الحضور وكأنها تعرفهم جميعاً..وكانت زوجته تتوسط الحضور وكانت تغني وترقص

وتتلوي معهم على أنغام الموسيقى أما السيدة العجوز التي كانت في مدخل العمارة كانت تقف قرابة الشرفة تنظر إلى الخارج.

ياست هانم يالا بترقصي ممكن تفهميني مين دول وعيد ميلاد مين ده؟

حبيبي إنت جيت.. معقولة مش فاكر عيد ميلادك؟ طب مش فاكر قرايبك دول؟ طب ممكن تجيب الحاجة الساعقة من الثلاجة بسرعة... وما تنساش التورته..

دلف إلى المطبخ في حيرة شديدة وهو لا يفهم شئ ولم يدرك ولا يعرف من في منزله ومن اقرابائه الموجودين في صالة منزله يقيمون حفل عيد ميلاده.. خصوصاً أن والده المرحوم ووالدته لم يحدثانه عنهم قبل ذلك اليوم...انقطع صوت الموسيقى وهدأت الأصوات بالخارج..وسمع صوت ارتطام جسم آدمي على الأرض فخرج على أثر الصوت بسرعة...وجد جثة سميرة ملقاة على الأرض وصالة المنزل خالية تماما وكأن لم يحدث بها اية حفلات ولا غيره.. نظيفة تماما..أخذ يقلب في الجثة يمينا ويسارا... ثم يجوب صالة شقته ذهابا وايابا وهو يضع يده على رأسه غير مصدق ما حدث..

طب ايه العمل ومين اللي موت سميرة إذا كان إسمها سميرة طب أتصرف إزاي في الجثة..لو نزلت دلوقتي وأنا شايلها وحتطها في شنطة العربية أكيد البوابة هيشوفني ويبلغ عني.. طب اقطعها نصين واخدها ارمي نص في النيل والتاني في المطقم. أنا بقيت مجرم وبفكر زي المجرمين؟ طب ده أنا ايدي مكسورة طب هعمل إيه؟ الله ومين اللي قتلها وجاي يقتلها في شقتي ليه؟ الله وفين مراتي.. يانهار أبيض لتكون اتقتلت هي كمان..

ترك الجثة مكانها في وسط الصالة وذهب مسرعا إلى غرفة زوجته..فلم يجدها.. فخرج مرة أخرى إلى الصالة فوقع على الأرض بسبب تعثره في جثة السيدة العجوز التي تبدلت مكان جثة سميرة.. وقع بجوارها وكان وجهه أمام وجهها مباشرةً..قام واقفا كالذي لدغة عقرب بين عينيه..

هو في ايه مش الجثة دي كانت جثة سميرة؟ طب جثة سميرة راحت فين؟ ومين قتل الست العجوزة دي؟ ..ومين بدل الجثث مكان بعض..اروح فين طب أبلغ البوليس ولما يجي البوليس هيعتبرني انا اللي قتلت الست دي ويمكن اروح المشنقة على حاجة انا ما عملتهاش..اتصل بحسام صاحبي يشوفلي حل في المصيبة دي..

الو يا حسام ممكن تيجي عندي دلوقتي حالاً انا عندي مصيبة كبيرة ومش عارف أحلها إزاي وانت الوحيد اللي ممكن تشيل معايا..

اشيل معاك ايه؟ انت مجنون يابني؟

اه انا مجنون تعالي بس علشان في كام شوال قديم في البيت كده وعايزين نشيلهم أنا وأنت علشان ريحتهم مضايقة مراتي.. اخلص بقى يا حسام وتعالي بسرعة..

يابني أجي فين؟اذا كان انت عندي إنت ومراتك من الصبح وبنحل معاكم مشكلة الفسيخ اللي عندكم في البيت اللي الست العجوزة بتاعة الدور الرابع اللي أصرت انك تاخده وعملت مشكلة مع مراتك بسبب ريحته الوحشة.. وإنت دلوقتي بتكلميني من الأوضة التانيه اللي في شقتي علشان مراتك لسه زعلانه منك بسبب الأرف اللي إنت عايز تأكله ده.. اخرج وصالح مراتك وبلاش لعب عيال..

طب استني كده هبص عليها في الأوضة عندي كده..

حسام انت إزاي بتقول إني عندك؟ وإن مراتي قاعدة مع مراتك في بيتك وهي نايمة جوا في الأوضة دلوقتي أهو..

بقولك إيه اخرج من الأوضة هتلاقيني قاعد بره يا عم بلاش هزار بقى..

خرج من الحجرة مسرعا ليجد زوجته جالسة مع زوجة حسام صديقه... غير إنه استيقظ على صوت رسالة أتيه من هاتفه المحمول.. ووجد نفسه لايزال في مكتبه وكانت الساعة قاربت على الواحدة مساءً.. وكانت الرسالة من زوجته.. أحضر حالاً ..

الحكاية الثامنة عشر :

الحظر

كانت دقات قلبه تتسارع بداخل صدره.. عندما نظر إلى ساعة يده ليتأكد من الوقت إذ لم يتبقى على ميعاد الحظر سوى بضع دقائق..كان مازن شاب طموح طويل القامة ذو لحية صغيرة وشارب صغير ايضاَ وأما شعره فكان من النوع الكثيف ليحاكي العصر.. لكنه كان يهوي السير على الطريق المستقيم فهو ليس من النوع الذي يهوى كسر الحظر ولا من النوع الذي يحب الإحتكاك بمراكز الشرطة ولم يدخلها قط في حياته ولو لمرة واحدةَ..

أطلق لقدمه العنان عندما نزل من الميكروباص حتى أنه لم ينتظر أن يتوقف السائق فنزل على عجل.. فتدحرج ككومة من القش عدة أمتار..وقف على الفور ولم يبال بما حدث له ونظر إلى ساعته مرة أخرى..وجري إلى داخل الشارع الذي يسكن فيه..

يخلو الشارع من المارة تقريباَ ولكنه وجده مختلف عن ما يعرفه،وجده شديد الظلام على غير عادته..سمع فتاة تهمس له من خلف سيارة قديمة وكانت متكأة عليها ويعلو وجهها الرعب..ولأنه لايهوي المشاكل فقد انصرف عنها بسرعة ولكنه أثناء مشيه فضل أن يعود للفتاة مرة أخرى ويعرف ما سبب تواجدها في الشارع حتى هذا الوقت..تحولت الفتاة بلحظة إلى زوجته ولكنه لايدري أكانت هي زوجته منذ البداية أم أنه توهم ذلك..اقترب منها رويداَ رويداَ بخطوات ملؤها الخوف...فوضعت يدها على كتفه واطالت النظر إليه وباغتته بسؤالها بصوت عال جداً..لماذا تأخرت حتى الأن ألا تعرف إنني في انتظارك؟ اشاح بوجهه عنها وأخرج منديل يمسح الرزازِ الذي وثب على وجهه فجأة جراء اقترابه من وجهها..

تلعثم في الرد عليها ولكنه أجاب بصوت متقطع ومازال يمسك بمنديله..السؤال هو لماذا تنتظريني في الشارع ولم يبقى على الحظر إلا خمس دقائق..

لم تجب على سؤاله لكنها أخذته من يده وراحت تجره إلى المنزل قبل الحظر.. ولكنه شعر ببرودة شديدة عندما لامسته

وارجع هذا إلى أنه متوتر بعض الشئ.. لكنه في الاخير استسلم لها وصعد معها إلى شقته دون أن يعرف إجابة سؤاله!

دلف إلى شقته وترك حذاءه أمام الباب كعادته القديمة وليس الفيروس بالطبع فهو رجل مثالي.. ثم دخل الحمام واغتسل كعادته عندما يعود من العمل..

لمح من خلف زجاج الحمام ظل يسير ناحية المطبخ.. فلم يعير الأمر انتباهه فهي زوجته تعد له الغداء..

دخل المطبخ فوجدها بالفعل تعد له الطعام..ثم توجه إلى غرفة نومه ليرتدي باقي ملابسه..فوجد زوجته مازالت نائمة في سريرها..خرج من باب حجرته متوجهاَ مرة أخرى الي المطبخ فوقع على الأرض متكوراَ مرة أخرى وتدحرج حتى باب المطبخ ليجد نفسه واقفاَ بجوار زوجته ومازال يرتدي روب الحمام ويلح عليها في السؤال.. ماذا كانت تفعل في الشارع أمام البيت منذ قليل؟؟

الحكاية التاسعة عشر :

قميص من ورق

لا يدري ما الذي دفعه ذات مرة وهو يجلس على مكتبه في الوقت الذي يأخذ فيه راحته من العمل، أن يخرج من الشركة كعادته كل يوم لتناول غداءه مع أقرب صديق له.. لكنه وجد خمسة جنيهات أمامه على المكتب.. كانت خمسة جنيهات عادية فتذكر وهو صغير عندما كان يستقل القطار ذاهبًا إلى الإسكندرية هو والعائلة للمصيف.. حينما كان يجلس أمامه رجل مسن وكان يمسك بين يديه عملة ورقية من فئة الربع جنيه إلا أن الرجل كانت أنامله من ذهب إذ راح يصنع تحفة فنية عبارة عن قميص من ورقة النقود.. كان يعد تحفة فنية بالفعل..لاحظ الرجل اهتمامه بالقميص وبخفة أخرج من جيبه عملة أخرى فئة الجنيه وراح يصنع قميص أخر لكنه هذه المرة كان يصنعه للتعليم فكان يصنع كل خطوة ببطأ شديد وكأنه يقول له تعلم وحين انتهى من صنع القميص.. نظر إليه فجأة وقال له.. ها تعلمت صنع القميص جيداَ.. وكأنه كان يعرف أن الولد كان يتابعه من كثب ولأن الطفل كان ميوله فنيه فقد تعلم بالفعل بمجرد النظر إلى يديه وهي تصنع القميص الورقي..

راح يبحث الطفل بين جيوبه عن أي نقود ورقية.. لكن دون جدوى...لاحظ الرجل المسن.. فناوله ورقة من فئة الخمسة جنيهات.. ولكن الطفل طلب منه إن يأخذ مكانها الربع جنيه إلا إنه رفض لأن العملة قد صنعت قميص من قبل وثناياها أصبحت معروفة.. كان يفضل أن يصنعها من فئة عمله جديدة ليرى تعليمه أثمر أم لا...

أخذ الطفل الخمسة جنيهات وراح يقلبها بين يديه ويصنع منها نموذج مشابه لما تعلمه من المسن منذ قليل.. فأدهش الرجل من حلاوة ما صنعه..وكمكافأة على تعلمه بسرعة أهدى الرجل المسن الخمسة جنيهات للطفل على الرغْم أنه ليملك غيرها في هذا الوقت، وكانت فئة الخمسة جنيهات وقتها تساوي الكثير...

وصل القطار أخيرا إلى الإسكندرية فتحرك الرجل بسرعة بعد أن ربت على رأس الصغير واختفي تمامًا عن الأنظار..توجه الصغير بعينه باحثاَ عن الرجل دون جدوى فقد اختفى كأنه لم يكن موجود منذ قليل..أحس الصغير برعشة في جسده عندما دس الورقة النقدية في جيبه.. رعشة لم يشعر بها من قبل..نزل من القطار.. وكان قبل أن يركب القطار طلب من والده أن يبتاع له سيارة لُعْبَة قد اعجبته في محل للألعاب ولكنه رفض دون مبرر..لكنه عندما نزل من القطار مر من أمام محل لبيع اللعب ولكن والده استوقفه ونظر إليه بابتسامه.. ثم دخل إلى المحل واحضر له سيارة لعُبة أجمل من الذي طلبها من قبل..

وفي مكتبه راحت أنامله تصنع من ورقة الخمسة جنيهات قميص كما كان يفعل في السابق ولكنه كان يحتفظ بالخمسة جنيهات القديمة بين طيات حافظة جيبه..كانت دائمًا تجلب له الحظ

فعندما تفوق في دراسته في نهائي عامه الأخير في الجامعةعدّ نفسه من المحظوظين لأنه يمتلك المفعول السحري للقميص الورقي التي لا يفرق جيبه أينما حل.. وعندما وقعت في حبه أجمل فتاة في الشركة.. لم تعجب به لولا إنه يمتلك قميص ورقي صغير..

وذات يوماَ عندما كان يركب سيارته توقف في إشارة مرور وكانت على مقربة منه سيدة مسنة تبيع المناديل.. وكان من عادته العطف على الفقراء فوضع يده في حافظته فلم يجد أية

نقود..وتذكر إنه ترك النقود فوق المنضدة ولم يضعها بحافظته..تردد كثيراَ في أن يعطي السيدة الخمسة جنيهات الوحيدة التي يتفاءل بها وفي نفس الوقت دفعة إحساس الخير الذي بداخله ونظرة عين السيدة تجاهه وتوسلاتها دون أن تنطق ببنت كلمة..جعلت منه تائه لا يعرف الصواب.. غير أن شيء داخله دفعه إلى أن يعطي السيدة المسنه الخمسة جنيهات.. قلبه يقول نعم ويده لا تقو على تركها..وأخيرا مدت السيدة يدها وحزمت الجدال الحاصل داخله وأخذت الخمسة جنيهات بعد أنا اغرقته بالدعوات المعتادة.. استدارت عائدة إلى مكانها وقبل أن يفكر كثيراَ ويفتح باب السيارة ليسترد الخمسة جنيهات..

كان عداد الإشارة يشير إلى رَقَم صفر ولم يفيق من تفكيره إلا على أصوات آلات التنبيه الصادرة من السيارات خلفه تحثه على التحرك وسمع همهمات فيها شبه شتائم لم تطور بعد..وضع قدمه على دواسة البنزين وانطلق بسيارته شارد التفكير...

دلف إلى مقر عمله حتى إنه لم يرى حارس الأمن الذي أشار له بالتحية ولا يدرك بعد أنه لم يضع بصمة أصبعه في جهاز البصمة القابع في مدخل الشركة..وصعد إلى مكتبه وجلس دون أن يتحدث مع احداَ من زملائه...

شعر أن العالم تغير وأنه أصبح عريان وكأنه كان يلبس قميص حقيقي لشعوره بالبرد دون القميص الورقي التي اعتاد أن مرافقته طوال العشرون عاماَ الماضية...ولكنه اهتدي إلى فكرة أراحت له ثورته وهو أن يبحث عن السيدة المسنة ويعطي لها خمسون جنيهاَ في مقابل أن يأخذ منها الخمسة جنيهات خاصته..

من فوره وثب من مكانه ويقول وجدتها وخرج من الشركة مهرولًا وَسَط دهشة زملاءه في العمل...ركب سيارته وراح إلى نفس المكان الذي تقف فيه السيدة..فوجدها تقف ولم يظهر عليها أي تغيير من جرّاءِ استلامها للخمسة جنيهات العجيبة.. ولكنه عرف السبب عندما سألها وقالت له إنها أعطتها للصيدلي التي يأخذ منها الأموال الفكة كل ليلية..تركها مسرعًا بعد أن عرف اسم الصيدلية ولكنه كان يفكر في السيناريو الذي سيقوله للصيدلي وكيف سيأخذها منه.. لأنه ليس متسولاَ كي يغريه

بالمال لابد من سبب مقنع.. ففكر أن تكون الخمسة جنيهات من والده وأنها ذكرى غالية عنده مثلاَ..

وصل اخيراَ إلى أعتاب الصيدلية ولكنه وجد إعلان يقول إن والد صاحب الصيدلية قد توفي ومكتوب العنوان.. كتب العنوان على عجل وتوجه إليه.. إلا إنه وهو في الطريق جنحت على سيارته سيارة أخرى وحدث ارتطام طفيف في مقدمة السيارة..فرجح إنه لو معه الخمسة جنيهات ما كان يحدث له ما حدث..وضع يده في جيبه واعطي السائق تعويض عن التلفيات على الرغْم إنه لم يكن هو المخطأ لكنه كان في عجلة من أمره فدفع بسرعة وذهب إلى منزل الصيدلي..

وصل اخيراَ إلى الصيدلي ومكث في سرادق العزاء حتى انتهى تماما..ثم واتته الجرأة وشرح للصيدلي كل شيء بعد الاعتذار له.. ولكن الصيدلي تفهم الوضع ولكنه طلب منه إن يمهله ثلاث أيام حتى يفتح الصيدلية لأنه بالفعل لمح خمسة جنيهات غريبة بين الفكة التي أخذها من السيدة المسنه..

وافق على مضض لأن ثلاث أيام دون الحظ شيء فظيع بالنسبة له لكنه اضطر يوافق اخيراَ...غير أن الصيدلي قال له قبل أن يذهب... لا تترك نفسك للأوهام والتفاؤل والتشاؤم لإن كل شئ بأمر الله...اندهش من كلام الصيدلي لأنه لم يقل له شيء يخص القميص الورقي ولا لُعْبَة الحظ.. ولكن يبدو أن الصيدلي فهم هذا من لهفته ولأنه لم يصدق ولا كلمة من القصة التي حكاها له...

خرج من عند الصيدلي وهو يفكر في كلامه وبعد ذلك لم يعر الأمر اهتمام فذهب إلى منزله في انتظار نهاية الثلاثة أيام على أحر من الجمر...

وفي اليوم الثاني رن هاتفه المحمول فانذعج جداَ دون أن يعرف من المتصل حتى.. وكان عندما يرن هاتفه ينتفض كل ارجاء جسده فهو كالورقة الضعيفة دون القميص الورقي..

كان على الهاتف رئيسه في العمل فتردد كثيراَ في الرد عليه ثم قرر ألّا يستجيب للرد وأن يتركه لأنه كان من المتوقع إنه سيبلغه بالرفد في ظل عدم وجود القميص الورقي..الخ رئيسه في العمل واتصل به عدة مرات ولكنه أصر على عدم الرد عليه مخافة العقاب..

نام هذا اليوم يتصارع مع الكوابيس ورأي السيدة المسنة تجري خلفه فاغرة فاها وينزل منه دماء وتمسك عصا ملتوية بها أشواك وترتدي القميص الورقي.. ورأي مديره في العمل يصوب نحوه مسدسه وهرب منه بصعوبة ولكن الرصاصة أصابته في قدمه..فقام من نومه ووقع من على سريره وشعر بقدمه تؤلمه بالفعل..نظر إلى التوقيت اليومي فلم يتبق غير يوم واحد على استلامه الخمسة جنيهات..فقرر أن يذهب إلى العمل لتضيع الوقت المتبقي..

عندما ذهب إلى مقر عمله علم أن مديره يطلبه في مكتبه فتذكر المكالمات التي لم يرد عليها فتوقع من مديره أن يجبره على الاستقالة..عندما دخل إلى مكتب المدير.. حياه المدير بكل احترام ثم لامه على عدم الرد على مكالماته..ولكنه في النهاية فاجأه بترقية في العمل وزيادة ليست بالقليل في راتبه..خرج من عند المدير وجد زملاءه في العمل يهنئنه على منصبه الجديد..وفي ذلك الوقت اتصلت به شركة التأمين على السيارات ليسددوا له ثمن ما تم من إصلاح السيارة..بعد أن دفع النقود مقدمًا..

ثم بعد ذلك علم من والده عندما كان طفلاَ لماذا اشتري له اللعبة بعد أن كان يرفض ذلك..فقال له ابوه إنه وافق أن يشتري له اللعبة لأنه تفوق عندما تعلم أن يصنع قميص ورقي بمهارة عالية لمجرد أن رأي الرجل يصنعها أمامه.. وعلم من زوجته إنها اختارته أولاَ لأنها أحبته هو ولأنه كان متفوقاَ، وبه صفات تتمناها كل امرأة..ايقن ساعتها أن القميص الورقي التي صنع له ثمثال كل هذه السنوات، كان مجرد خدعة أقنع بها نفسه ولا يوجد شيء اسمه تميمة الحظ...

جلس في بيته سعيداَ مع زوجته وابنته الصغيرة.. عندما رن هاتفه المحمول ليجد رقم الصيدلي الذي اتفق معه مسبقًا عندما يجد القميص الورقي يسلمه له..

ثم رن الهاتف طويلاَ حتى انقطعت المكالمة.

الحكاية العشرون:

عالق

ألن تفعل شيئاَ؟ وها أنت تقف على قارعة الطريق تتلوى من الألم والخوف الذي يعج بداخلك..الخوف الذي يحلق بجناحيه داخل رأسك..الرأس الذي لايفكر إلى أبعد من إصبع قدميه..كان هذا حديث نفساَ يقوله لنفسه ويوبخها وهو يقف عَلى الطريق مستنداَ إلى عمود يكاد يرى إصبعه في الظلام.. في إنتظار سيارة تقله إلى بلدته في إجازة مدتها اربعاَ وعشرون ساعة فقط..تلك الساعات القليلة الذي أضاع منها حتى الأن ساعة ونص وهو يقف أسفل ذلك العمود الذي بالكاد يضئ كشمعة رخيصة الثمن..

كان يتدثر ببالطو من الجلد الأسود ويلف وجهه بسكارف باحكام شديد فلا يظهر منه سوى أنفه وجزء من عينيه السوداوان كعيون فأر تائه وسط الصحراء..كان البرد يومها قارص وشديد..وهو بالكاد يخرج ذراعه ليشير لأي سيارة تعبر الطريق ليذهب بها إلى بلدته في إجازة قصيرة..ولكن رأسه الصغير كان يفكر كرأس الأطفال وكان يخيل له ان سيظهر له من خلف الأشجار الأن فتاة ذات شعر طويل وتطير في الهواء وتطارده على الأسفلت.. او رجل ضخم الجثة يمسك بمطرقة ومنشار يجري وراءه ويقسمه إلى نصفين وتتناثر دماءه على جنبات الطريق ..بدء الخوف يستبد به فعلاَ لإنه مازال يقف في مكانه وقد مر عليه ثلاثة ساعات منذ أن بدأت إجازته المشؤمة هذه..

فكر في العودة من حيث أتى ولكنه لمح على بعد إضاءة تتحرك وتقترب منه كان مصباح سيارة.. كانت السيارة بعين واحدة فعندما لمحها عن بعد تخيل إنها بيتش باجي..ثم راح يهيم بخياله أن الذي يقوده فتاة صارخة الجمال ترتدي شورت وتيشيرت عاري.. أتت خصيصاَ له في تلك الصحراء لتنقذه.. لكنه أفاق من أحلامه على صوت محرك عالي..وعندما إقترب قليلاً منه أيقن أنها سيارة ذات مصباح واحد والآخر لا يعمل.. ففكر سريعاَ لو أشار له لم يتوقف..فارتمى على الأرض فارداَ ذراعيه في منتصف الطريق تماماَ..توقفت السيارة..وكانت سيارة نصف نقل تنبعث منها رائحة خراف أو ماشابه..توقفت السيارة قبل أن تصدمه بسنتيمترات..وقف أمام السيارة وأحس أنه أبله لأن الرجل القابع داخل السيارة كاد أن يصدمه ولا يأخذ فيه يوم واحد في السجن ببساطة لأن احداَ لم يره وهو يصدمه..لكنه لم

يفعل.. توجه الي باب السيارة وفتحه ليجد أمامه سائق ضخم الجثة ذات عينان كبيرتان وجبهة بارزة يخرج منها حاجبان عدة سنتيمترات خارج جبهته أما الأسنان فكانت أيضاَ بارزة وحادة.. الحقيقة رأي (مخلوق)!! ..فهم أن يغلق باب السيارة ويعود من حيث أتى لكن الرجل طلب منه الصعود بلغة صارمة وبصوت كالصفيح.. قال له اصعدددد...

مرت ربع ساعة وهو جالس إلى جوار الرجل بدون كلام ووسط الظلام الحالك لا ينبعث من السيارة سوي موسيقى قديمة جنائزية غير مريحة على الإطلاق.. فظن أن الرجل أخرس ولكنه رجع عن فكرته لأن صوت الرجل مازال يرج رأسه عندما طلب منه الصعود..حاول أن يتكلم في اي موضوع ولكن الرجل لم يعره اي إهتمام ولكنه تكلم أخيراَ وطلب منه لو كان معه اي طعام..فاخرج له على الفور بعض السندوتشات كان قد أعدها مسبقاَ..التهم الرجل الطعام بسرعة غريبة فكان يقضم رغيف الفينو على مرة واحدة يضعه في فمه فلا يظهر مرة أخرى..لكنه عندما رآه يأكل أطمن إنه ليس جني أو عفريت خرج له في وسط الطريق..

لكن سرعان ما تبددت أحلامه فقد انحني الرجل عن الطريق ودخل في منطقة نائية وأوقف السيارة ونزل مسرعاَ وذهب إلى أسفل شجرة فاستطاع أن يشاهده وهو يقف تحتها لأن الظلام كان دامس والشبورة احجمت الرؤية.. فظن انه ربما ذهب إلى أن يقضي حاجته وإلا لم يقف هكذا تحت الشجرة؟ أو ذهب ليأتي بالمنشار الكهربي حتى يقسمه إلى نصفين في هذا المكان الموحش ولم يراهم أحد..

اعتصرت رأسه تلك الأفكار السوداوية وأعتلت وجهه نظرة خوف فدس يده المرتعشه بين طيات ملابسه وأخرج سيجارة وهم بإشعالها وعلى ضوء لهب عود الثقاب اختفى الرجل من أسفل الشجرة..ارتعب بشدة فظن إنه ربما ذهب فعلاَ لإحضار المنشار

إلا أنه لاحظ إختفاء الرجل تماما.. هرع إلى المكان الذي كان يقف فيه الرجل فلم يجده..عاد مسرعاَ الي السيارة التي مازال موتورها يعمل...ولانه لايعرف القيادة دخل مرة أخرى الي السيارة وجلس في مقعده لعل الرجل يعود طالما ترك موتور السيارة يعمل..أخذته سنة من النوم ولكنه وجد نفسه في الصباح

ولم يجد الرجل بجانبه ومازالت السيارة تعمل.. حاول إيقاف المحرك بصعوبة ولكنه لم يعرف أن يخرج المفاتيح من السيارة وقرر البحث عن الرجل وسط الزراعات..ولكنه لم يجده

أمام إحدى الغرف في المشفى النفسي يتكلم الطبيب مع الممرضة بهمس..يقول الطبيب اعطيه المهدئ كلما تطورت حالته وكلما سنحت له الفرصة بالهرب.. فهذا الشاب قتل السائق بالمنشار الكهربائي وقسمه نصفين.. إلا إنه كلما أفاق يقول إنه يبحث عنه وسط الزراعات كل يوم ولم يجده...ويستفيق دائماً على السائق وهو يجري خلفه..

مسكين سائق الشاحنة فقد كان وجهه يشبه المخلوق ولكن ليس كل مخلوق دميم يصبح هو الشرير.

تمت الحكايا بحمد الله

أشكرك إذا وصلت لآخر قصة